

# المجلة التاريخية والأدبية

المحاضرة الرابعة

## جامع أحمد بن طولون

تأليف



المفكر بلجنة حفظ الآثار العربية

بوزارة الاوقاف

الطبعة الاولى

سنة ١٣٣٥ هجرية - ١٩١٧ ميلادية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

« مطبعة الترقى بالمنشية قسم الخليفة بمصر »

هداة الى رتبة الجامعة لعلمانية بحمد راياد الذكر بالرشاد اعترافا بالفضل والخدمة من الدولة

١٢ محرم ١٤٤٧  
١ يولي ١٩٢٨

يوسف احمد



## ٥٢ فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ الْحَبْلُ الْحَبِيمُ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف  
المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

وبعد — فهذه هي المحاضرة الرابعة من مجموعة المحاضرات  
الأثرية التي القيتها على بعض حضرات مدرسي وطلبة المدرسة  
الخديوية اثناء زيارتهم الاماكن الاثرية العربية . وموضوعها  
التكلم عن « جامع احمد بن طولون »

ولما كانت ترجمة حياة ابن طولون ذلك الامير العظيم  
من اهم الدروس التاريخية لانه خطى بمصر خطوة واسعة  
في سبيل الحضارة والرقى الادبي حتى تمكن من استقلالها —  
افردت لها ملحقا خاصا تابعا لهذه المحاضرة . وستكون  
المحاضرة التالية له عن الجامع الازهر ان شاء الله

## جامع أحمد بن طولون

هو ثالث جامع بنى للجمعة والجماعات (١) وعرف بالجامع الجديد

## ١ - الشروع في بنائه

شرع الامير أبو العباس أحمد بن طولون في بائه سنة ٢٦٣

الهجرية بعد أن بنى القطائع (٢) وقدر له ثلاثمائة عمود . فقبل له

(١) قد بينت اسباب تعدد الجمعة في الجوامع بمصر في المحاضرة

التي وضعتها عن جامع عمرو

(٢) اختلف المؤرخون في تاريخ الجامع واقوالهم تدور بين سنى

٢٥٦ و ٢٦٦ والصواب انه ابتدئ فيه في سنة ٢٦٣ وانتهى منه في

سنة ٢٦٥ والقطائع قلع من الارض كان يسكنها عبيد ابن طولون

وعلمانه وعساكره . وكل قطعة كانت لطائفة تسمى بهم بمنزلة الحارات

التي بالقاهرة . وقد عمرت عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والشوارع

وبنيت فيها المساجد والاسواق وما يتبعها فصارت كأنها مدينة كبيرة

بها ما ينيف عن مائة الف دار وموضعها الآن المنطقة التي بها المذشقة

وشوارع وحارات الخليفة وشوارع طولون وحرانه الى ما يقرب من زين

العابدين . وقد استمرت هذه القطائع زاهية الى ان حرقها في سنة

٣٩٢ محمد بن سليمان وهدم القصر وقام اساسه واخرج بقية اولاد ابن

طولون وكانوا عشرين انسانا واخرج قوادهم في ذلة واهانة . فسبحان

لاتجدها الا اذا أرسلت الى الكنائس في الارياف والضواحي  
الخراب فتحملها منها . فانكر ذلك ولم يختره وتفكر في الامر . فبلغ  
المهندس المصري المسيحي الذي بنى له السقاية (١) ذلك الخبر . فكتب  
من له الدوام المطلق يعز من يشاء ويذل من يشاء

(١) هي ساقية وقناطر تمتد من بركة الحبش (جهة البساتين) الى  
القرافة الكبرى . والسبب في بنائها ان ابن طولون مر يوما بمسجد  
الاقدام بالقرافة وقد كسبه العطش وكان في المسجد خياط . فقال يا خياط  
اعندك ماء ؟ فقال نعم . فاخرج له كوزا وقال اشرب ولا تمد . (اي  
لا تشرب كثيرا) فتبسم الامير وشرب كثيرا . ثم قال : يا فتى سقيتنا  
وقلت لا تمد . فقال نعم اعزك الله موضعنا هاهنا منقطع وانما اخيط جمعتي  
حتى اجمع من راوية ماء (قربة) . فقال له والماء عندكم معوز ؟ فقال  
نعم . فمضى ابن طولون وارسل الى الخياط وقال له سر مع المهندسين  
حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء . وهذه الف دينار خذها  
وابتدي في العمل . ورتب للخياط عشرة دنانير شهريا قتم العمل  
وظلت مفتوحة ليلا نهارا

قال الامير المهندس المعماري اذا فرغت من العمل فاخبرني لتركب  
قراها . فقال له يركب الامير في الغد فقد فرغت . ثم ذهب فرأى  
موضعا يحتاج الى قصرية جبر واربع طوبات فبادر الى عمل ذلك  
واقبل الامير يتأمل العين فاستحسن جميع ماشاهده فيها . ثم اقبل الى

الى الامير يقول ( أنا أبنيه لك كما تحب بلا عمد الاعمودى القبلة )  
 وكان حاذقا ماهرا باساليب العمارة حسن الهندسة - فاحضره الامير  
 وتكلم معه فاستحضر جلودا صور له منها الجامع فاستحسنه . وأطلق  
 له مائة الف دينار للنفقة عليه موقتاً

الموضع الذي فيه القصرية ووقف عليها صدقة فلطوبة الجير غاصت  
 يد الفرس فيه فسقط ابن طولون . واسوء ظنه فدر ان ذلك مكيدة  
 من المهندس البناء . فامر به فشق عنه ماعليه من اثياب وضرب  
 خمسمائة سوط ثم حبس في المطبق ( قمينة الجير ) . وقد كان توقع من  
 الجائزة مثل ذلك دنانير . فقام في السجن الى ان اراد الله سبحانه  
 وتعالى كشف كربة فارسل ابن طولون اليه ابناؤ الجامع وكاد من  
 أمره انه لما تم وصلى فيه الامير اول صلاة صعد هذا المهندس ووقف  
 الى جانب المركب النحاس التي اعلى الفوارة بوسط الصحن وطالب  
 الامان والجائزة من الامير فأمنه وخاع عليه واعطاه عشرة آلاف  
 دينار واجرى له مرتبا شهريا حتى مات

ولما تمت بلغ الامير ان بعض الفقهاء لا يحل شرب ماؤها تورعا  
 منهم لعدم معرفتهم مصدر المال الذي بنيت به . فارسل رسولا الى  
 ابن عبدالحكم الفقيه يدعوه اليه ليلا . قال الفقيه . فركبت مذعورا  
 فعدت الى الرسول عن الطريق . فقات أين تذهب بي ؟ فقال الى  
 الصحراء والامير فيها . فايقتت بالهلاك وقلت للرسول . الله الله فيه

شرع المهندس في البناء في الموضع الذي فيه الجمع وهو جبل يشكر (١) فكان ينشر الحجر ويعمل منه الجير ويده الى ان فرغ من جميعه وبلطه وبيضه وعمل فيه المنبر والمحراب والمناور الجص الكثيرة الحسن الدقيقة الاشكال . ونقش سوراً وآيات قرآنية على ايزار السقف وطيبه وفرشه وعلق فيه السلاسل والقناديل الحسان فأتى شيخ كبير فارحمى . فقال لى احذر ان يكون لك فى السقاية قول . فسرت حتى نزلت امام الامير وسلمت عليه فلم يرد لى . فقلت أيها الامير . الرسول اعنتنى كثيرا وقد عطشت فيأذن لى الامير فى الشرب . فاراد الغلمان ان يسقوني فقلت أنا آخذ لنفسى فاستقيت وهو يراى ومثرت كثيرا حتى كدت انشق . ثم قلت . سقاك الله من امم الجنة فلقد ارويى واغنيت ولا أدري ما أصف . أطيب الماء فى حلاله وبرده . ام صفائه ام طيب ريح السقاية ؟ قال فنظر الى وقال . لك لامر وليس هذا وقته

ذات النفقة عليها . ٤ الف دينار . اه مقرىزى

(١) يشكر اسم رجل من لحم . قال القضاعى وابن دقماق ان يشكر هو ابن جديلة من لحم « قبيلة من قبائل العرب » اختطت عند افتتاح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر . وقال ابن الزيات كان يشكر رجلا . الخا وكان له بيت ادخل فى جامع ابن طرلون . وروى أيضا ان الجمع قطعة من الجبل المقدس

وحمل اليه صناديق المصاحف . ( ١ ) وعمل في مؤخر الجامع من الجهة الغربية مiazza وخزانة شراب ( صيدلة ) فيها جميع الشرابات وقال السيوطي . انه جبل كان يصلى عليه التابعون والصالحون . وقد اشار ابن الصلاح على ابن طولون ان يبنى جامعه عليه وقال المقرئ عن ابن عبد الظاهر ان يشكر مكان مبارك مشهور باجابة الدعاء . وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات . وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور . اهـ

وبجوار هذا الجبل جبل الكبش ولما اختط المسلمون مدينة الفسطاط صار الكبش من جملة خطة الخراء القصوى . والكبش في اللغة فحل الضأن وكبش القوم رئيسهم وسيدهم وكبش الجيش قائده وحاميه . و يظهر ان الجبل سمي كذلك لارتفاعه ولانه يحوى قومه ويشرف على جهات عدة

اما ما ورد في كتب مرشدى الزوار الاجانب من ان موضع الجامع في النقطة التي ضحى فيها الخيل ابراهيم عليه السلام الكبش ذراء عن ولده الذيح اسماعيل فمحض اختلاق لان ضحية الكبش كانت في منى وهى موضع في الحجاز

٢ ( ١ ) وقد ارسل الحاكم بامر الله الفاطمي الى هذا الجامع ٨١٤



والادوية وعاليها خـدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث  
للحاضر بن للصلاة  
وقد عمل منارة في مؤخره وبلغ جميع ما انفق عليه نحو ١٢٠ الف  
دينار .

## ٢ — هندسة البناء

ومما أوجده هذا المهندس البارع في البناء العقود الستينية وهي  
الاولى من نوعها ان لم تكن عقود الشبايك التي يصل منها الماء الى  
قاعة النيل (المقياس) المبنى قبيل بناء الجامع بسنوات سابقة عليها . (١)  
وبناء هذا الجامع هو الوحيد الذي بقي منذ الف وسبعين سنة لم  
يغيره كالدور والاعوام وبه الى الآن بقايا صالحة لم تعبت بها يد  
الزمان يستدل منها على ان المنارة بلغت من الشأو عند العرب ما لم تبلغه  
عند الامم الغربية — انظر اللوحة الاولى — .

وقد صار هذا الجامع نموذجا لا كثر الجوامع التي انشئت بعده  
وقال حضرة صاحب السعادة استاذنا العلامة هـ رتس باشا باشمهندس  
لجنة حفظ الآثار العربية سابقا عن هذا الجامع ما يأتي

«والذي يهمننا فيه هو مفصلات ابنته . فبناؤه من الآجر المخصص  
ودعاهم بها في النواصي الاربع عمد في البناء قواعدا على نسق القواعد  
القديمة وتيجانها على شكل نواقيس . والزخارف التي تتحلى بها تاليف

(١) بينت ذلك في المحاضرة التي القيت عن قاعة النيل

التيجان على هيئة ورق النبات المسمى بشوك اليهود التي تشاهد  
على تيجان العمدة القديمة

ومن هذا الوصف المختصر يعرف المصدر الذي كان يستقى منه  
بناؤ والعرب لاول في الدير المصرية . فان لم يكن ما قدمناه شاهدا  
معززا لرأينا ذكر أيضا المعصنات التي من الطرز اليوناني الحافة بالعقود  
والعصابة المتخذة من الفسيفساء فوق المحراب (١) ثم أعمدة القبلة وغير  
ذلك من التفاصيل

ولا شك ان هذا الجامع الفخيم لم يبرز الي عالم الوجود دفعة  
واحدة كما هو من غير ان يكون له سابق . لانا لانصدق ان مثل  
هذا الشكل العجيب يبرز من قريحته مبتدعه كما خلق الله الخلق على  
غير مثال . بل الذي يرى فيه انه محصل تدرجات الصناعة حسب  
السنة المألوفة وهي سنة الترقى

وقل أيضا ان باطن العقود حافظ زخرفته وهي عبارة عن مشبك  
كثير الزوايا محلى بنقش عربي ومفرغ في الجص واسنا بحاجة للتنبيه  
على اهمية ذلك لان أصل الزخرفة العربية ( التفريغ والنقش )

(١) الفسيفساء الموجودة بتجويف المحراب هي من عهد الملك  
المنصور لاجين وايسر من عهد ابن طولون بدايل الكتابة  
بالستخية الموجودة بها فان قلنا لم يوجد في زمن الدولة الطولونية .  
نه المؤلف

موجود من القرن الثالث الهجرى « . اه فهرس دار الآثار  
والزخرفة التي في باطن العقود ترى الآن بالرواق القبلى  
هذا وقد عملت الزخارف جميعها على أصلها بلا قوالب ( طوابع )  
بمخلاف ما يعمل في زماننا فانه اسهل صناعة واقرب وقتا وأقل مصاريف  
من تلك

وسنبين كل ذلك فيما يأتى . ولنشرع الآن في التكلم على  
مفردات البناء فنقول

### ٣ — المحاريب

لم يكن في زمن ابن طولون الا المحراب الاصلى الموجود بجانب  
المنبر ثم استجد بعده خمس محاريب من جص اثنان صغيران  
أحدهما على يمين الدكة والآخر على يسارها . والمحراب المستنصرى  
الموجود في منتصف البائكة الثانية بالرواق الشرقى من جهة الصحن .  
ومحراب السلطان حسام الدين لاجين وهو على يسار المحراب المذكور .  
ومحراب عمل في زمن المماليك البحرية ونسبته تساهلا المحراب  
المملوكى وهو على يسار المحراب الاصلى

## — المحراب الاصلی —

اسباب انحرافه . قال محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ بمصر : سمعت غير واحد يقول . لما فرغ ابن طولون من بناء الجامع امر للناس بسماع ما يقال فيه من العيوب . فقال رجل - محرابه صغير . وقال آخر ما فيه عمود . وقال ثالث ليست له ميضأة . فجمع الناس وقال :

اما المحراب فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه الى فاصبحت فرأيت النمل قد اطافت بالمكان الذي خطه ( ١ ) فبذيت المحراب على خط النمل . ويسمى محراب النمل الى الآن . ورؤى النبي صلى الله عليه وسلم عدة مرار يصلى في ذلك المحراب ( ٢ ) وقيل انه لما عزم على بناء الجامع بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالطرق الهندسية نحو العشر درج الى جهة الجنوب . فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا الى جهة الجنوب بنحو

( ١ ) مقرئزي ص ٢٦٧ > ٢ ( ٢ ) اب ايأس ص ٣٨ > ١

ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد الرسول (١)

وفي ولاية قاضي القضاة عز الدين عبدالعزيز بن محمد بن جماعة  
(في عصر الناصر محمد بن قلاوون) عقد مجلس بخصوص انحراف هذا  
المحراب حضره طائفة من علماء الميقات فاجمعوا على انه منحرف الى  
جهة الجنوب مغربا بقدر ١٤ درجة . وكتب بذلك محضر وأثبت  
على يد ابن جماعة . (٢)

وفي سنة ٨٧٥ تكلم السلطان قايتباي مع القضاة عن انحراف  
هذا المحراب . وقد كان الجامع في نظر قاضي القضاة الشافعية

(١) خط عرض المدينة ٣٥° شمال خط الاستواء وخط

طولها ٣٨° شرق جرينوتش

وخط عرض القاهرة ٣٠° شمال خط الاستواء وخط

طولها ٣٢° شرق جرينوتش

اما مكة فخط عرضها ٢١° شمال خط الاستواء وخط

طولها ٣٣° شرق جرينوتش

ومن هذا يتضح خطأ ابن طولون ومن وافقه على ذلك . وایل

اتجاه المحاريب القديمة بمصر سبب بينه المقریزی في خطاه ص

٢٥٦ وما يليها ٢

(٢) مقریزی ٢٥٦ > ٢

فقال القاضي ينبغي ان يتغير هذا المحراب ويجدد غيره الى جهة القبلة .  
(١) ولكنه لم يتغير الآن

كسوته . اما كسوة هذا المحراب والفسيفساء المذهبة التي  
بتجويفه فهما من زمن الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين الذي  
جدد الجامع في سنة ٦٩٦ بدليل الكتابة النسخية السابق التكلم عليها .  
وهذه الفسيفساء متخذة من فصوص زجاج مذهب . واقداما عثرت عليه  
منها موجود في حراب قبة شجرة الدر التي بنيت سنة ٦٤٨ ثم محراب المدرسة  
المنصورية سنة ٦٨٤ ثم محراب ابن طولون هذا سنة ٦٩٦ فما هو  
بجامع الناصر محمد بالقلعة سنة ٧٣٥ فمحراب الاقبية بالازهر سنة ٧٣٩  
واقدم الفسيفساء المتخذة من رخام ( خردة ) ملون وبه بعض  
الصدف وزرة قبة قلاون

واقدم كسوة رخام وزرة قبة الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٨  
ولكنها ليس عليها مسحة من البهاء

هذا فيما يختص بالفسيفساء والكسوة — اما الاعمدة الرخام  
فصناعتها بيزنطية وربما كانت من عصر ابن طولون ومن صناعة  
الهندس المصري العظيم بدليل قوله للامير « انا ابنه لك بلا عمد

الا عمودى القبلة « أن لم يكن وجودها هناك من زمن لاجين  
والطراز الخشب المنقوش بالخط الكوفى « لا اله الا الله محمد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم » هو من عهد ابن طولون  
وجاء عن المستعيل الخشب العلوى فى الخطط اتوفيقية ص  
٤٨ ح ٤ أن به خمسة اسطر بالخط العربى لكنه لا يقرأ لمحو اغلبه .  
اه ويظهر من هذا ومن شكل الدهان الموجود على الخشب انه  
حديث الصناعة

اما القبة الخشب الموضوعة بالسقف اعلى المحراب فهى حديثة  
العهد ولا اعلم من وضعها . والمقرنص الذى بزواياها الاربع جددته  
لجنة حفظ الآثار

### — المحرابان الصغيران —

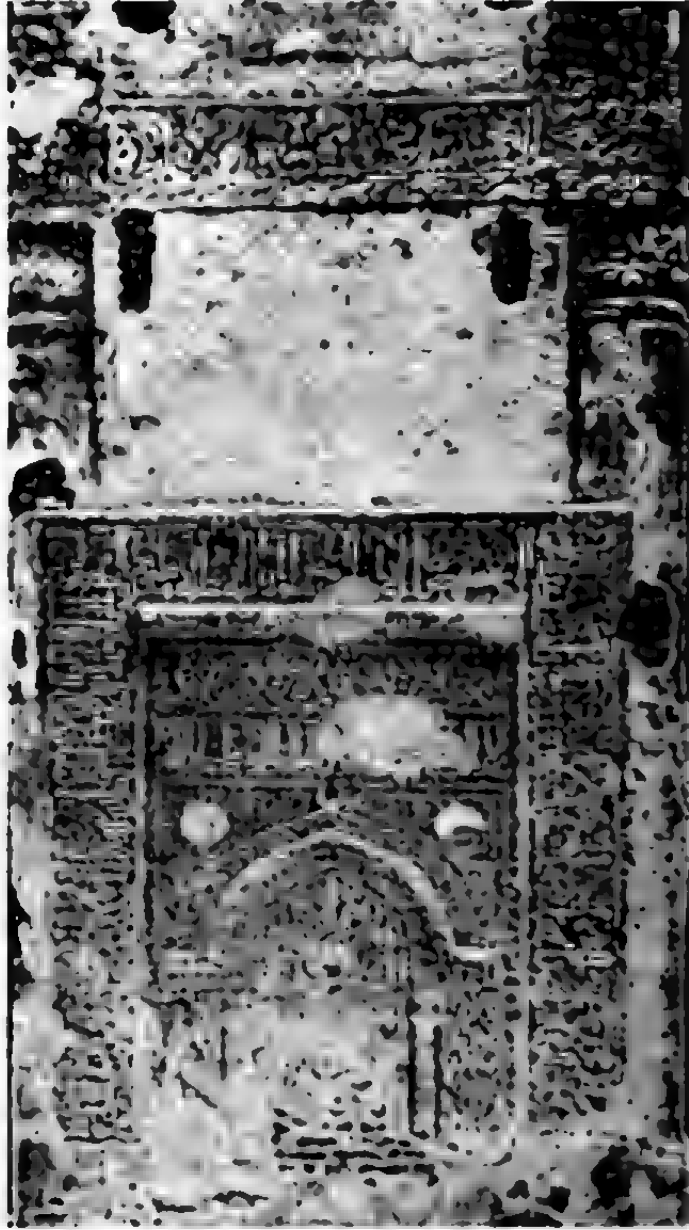
وهما على جانبي الدكة منقوش على كل منهما سطر بالخط الكوفى  
به « لا اله الا الله محمد رسول الله » وفى وسط السطر المنقوش  
بالمحراب الايمن كتابة نسخية حديثة بخط ردى نصها « على ولى الله »  
وهذه الجملة استعملها الفاطميون وكانوا يقرنونها دائما بجملة « محمد  
رسول الله »

ومن ذلك يظهر ان الكاتب لها هو احد الشيعة المتأخرين





اللوحة الثانية



جامع احمد بن طولون  
وجهة المهراب المستنصرى (رسم المؤلف)

## — المحراب المستنصرى —

رمو في منتصف البائكة الثانية الشرقية من جهة الصحن . ولا حاجة لان اذكر دقة صناعته وحسن زخرفته فانها واضحة جلية يقف الانسان امامها مندهشا مما كان عليه الساف من حسن الاسلوب المعمارى وكثرة الشغف بالنقوش العربية الجيلة الهندسية . وهى كما نرى فى اللاوحة الثانية

نقش على هذا المحراب بالخط الكوفى الجليل

اولا — اطار كبير به مانصه « بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذا المحراب خليفة فتى مولانا وسيدنا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين السيد الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين . . . » وقد قرأت بالاجزاء الناقصة الاخيرة منذ سنوات هذه العبارة « خايل أمير المؤمنين »

ثانيا — سطر صغير ضيق يرى تحت السطر الافقى من الاطار به « . . . ثقة الامام فخر الاحكام ( م ) . . . لقاسم عبدالحاكم بن وهيب بن عبد الرحمن »

ثالثا — سطر كبير به « لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله »

رابعا — فوق الخموس « الله اوحى اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »

خامسا — تحت الخموس « بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله . صدق الله »

فن الكتابة الاولى يتضح ان هذا المحراب عمل فى زمن المستنصر بالله الفاطمى الذى توفى سنة ٤٨٧ وان الامر بانشائه هو خيفة فتى المستنصر . ومن لفظة (الافضل) المدونة فى الاقاب يعلم ان فتى المستنصر هو الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدرالجمالى . (١) — ويلزم ان تكون الاقاب صفة لفتى المضاف الى خليفة

على ان هذه الاقاب كلها عدا لقب ( فتى ) تلقب بها الافضل فى حياة والده سنة ٤٨٢ — راجع المقرئى ص ٢٤٢ = ٢

وقد كانت القاب والده — ( فتى مولانا الامام المستنصر بالله السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ) كما هو منقوش على المشهد الجيوشى

(١) تكلمت على ترجمة حياتهما بالتفصيل فى المحاضرة السابعة

التي كان موضوعها — أبواب القاهرة وسورها —

بالمقطم ومذكور في بعض الكتب التاريخية مكان خلكان ورفع  
الامر والمقرىزى والاشارة الى من نال الوزارة ( ١ ) فكان يولى  
القضاة من قبله . وكل من تولى منهم يقال له خليفة مولانا — أى  
نائب الوزير —

ولما تعين فى الوزارة بعده ولده الافضل شاهنشاه فى شهر ربيع  
الاول سنة ٤٨٧ وكان عمره اذ ذاك ٢٩ سنة اختص بهذه الالقاب  
أيضا فصار يولى القضاة من قبله

ويستنتج مما سبق ان هذا المحراب لابد ان يكون تاريخ  
انشائه سنة ٤٨٧

اما الكتابة الثانية فتشير الى ان هذا المحراب له علاقة بابا امام  
فخر الاحكام ابى القاسم عبدالحاكم الذى قال عنه ابن حجر فى كتابه  
( رفع الامر عن قضاة مصر ) ما يختصره

عبدالحاكم بن وهب بن عبد الرحمن بن المايجى الربى من  
( ١ ) الفه ابو منجب الصيرفى لاوزير المامون الذى تولى بعد  
الافضل شاهنشاه سنة ٥١٥ ومحفوظ منه نسخة بالمكتبة الخالدية  
بيت المقدس الشريف . وقد نسخت صورة منها عند تشرىفى  
يزيارتى لاقدمس فى سنة ١٣٢٨

أهل مصر اسماعيلي المذهب . يكنى أبا القاسم . تولى القضاء في  
سابع ذى القعدة سنة ٤٥٠ ولقب قاضى القضاة ثقة الانام علم الاسلام  
فساءت احدوثة وقبخت طريقته فصرف في ١١ رجب سنة ٤٥٢  
ثم اعيد بعد سنة وأضيف اليه المظالم وجميع أسباب الحكم من الصلاة  
والخطابة وغير ذلك سوى الدعوة وصرف في رمضان من السنة  
نفسها . ثم اعيد في المحرم سنة ٥٤٠ وأضيف اليه العامة وعزل بعد سنة .  
ثم اعيد وعزل خمس مرات اخرى نهايتها ربيع الاول سنة ٤٦٤ .  
وكان عارفا باختلاف الفقهاء .

والى هنا انتهى مادونه ابن حجر (١) ولم اقف له بعد على ترجمة  
تامة الا ان وجود اسمه على هذا المحراب الذى برهنا على وجوب  
انشائه سنة ٤٨٧ يشير الى ان هذا القاضى عمر حتى سنة ٤٨٧ ان لم  
يكن عاش بعدها أيضا ويحتمل انه أعيد الى منصب القضاء مرة  
أومرات اثناء ذلك لاسيما اذا اعتبرنا التقلبات العديدة التى  
طرأت عليه

(١) لم يتفق معه فى هذه التواريخ السيوطى فى كتابه حسن

## — محراب لاجين —

انشأ هذا المحراب حسام الدين لاجين في سنة ٦٩٦ وصنعه على  
مثال المحراب المستنصرى الموجود على يمينه . وتتش عليه اطاراً  
بالخط الكوفي به مانصه

« . . هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور  
حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الاسلام . . »  
وتتش به ايضاً على الخموس « لا اله الا الله محمد رسول الله  
حسبي ربي الله »

ومن ينعم النظر في هذا المحراب يجد ان دقائقه الفنية اقل من  
دقائق المحراب المستنصرى كما ان مادته الجصية التي عمل منها لم  
تسكن متينة . ولذلك قد اندثر او كاد قبل ان يطرأ على المحراب  
الآخر مثل ذلك

## — المحراب المملوكى —

يوجد هذا المحراب على يسار المحراب الاصلى . ويؤمن كثير  
من الناس ان السيدة نفيسة بنت الامام زيد رضى الله عنهما كانت  
تصلى فيه . وهذا لاصحة له لان السيدة اتقلت الى رحمة ربها في  
سنة ٢٠٨ من الهجرة اى قبل بناء الجامع بسبع وخمسين سنة

اللوحة الثالثة



جامع احمد بن طولون

وجهة المهراب الملوكي ( رسم المؤلف )

وربما كان هذا المحراب هو المنسوب الى السيدة فاطمة الزهراء — فقد ذكر ابن دقاق ان رجلا رأى في المنام كأن فاطمة الزهراء ضى الله عنها تصلى في مكان من هذا الجامع . فلما أصبح أخبر الناس بذلك فصلوا فيه وعملوا عليه مقصورة تعرف للآن بمقصورة فاطمة الزهراء اه — انظر الاوحة الثالثة —

ومنقوش بالخط النسخي على الاطار آية قد نرى تكتب وجهك في السماء . وعلى دائر الخموس وصدره بالخط الكوفي « فسبح محمد رك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » ويتضح من شكل المقرنص والكتابة انه عمل في زمن المماليك الاولى انى ابتدأت في سنة ٦٤٨ وانتهت سنة ٧٨٤ .

هذا واقدم المحاريب الموجودة للآن بمصر هي المحاريب التي كانت تعمل في زمن الفاطميين . وهي اما ان تكون خشبا منقوشا يسهل نقله من مكان لاخر او بناء مزخرفا بالجص المنقوش . فالتى من البناء هي محاريب المشاهد المجاورة لمسجد سيدنا الامام الشافعى . وتربة اليسع وروبل ومشهد الجيوثى ومشهد السيدة رقية والتي من الخشب فاقدم ما عرفته منها للآن محراب كان بالجامع الازهر انشاء الامر باحكام الله سنة ٥١٩ ثم محراب مشهد السيدة رقية سنة ٥٣٥ وكلاهما موجود بدار الآثار العربية





## ٤ — المنبر ( ١ )

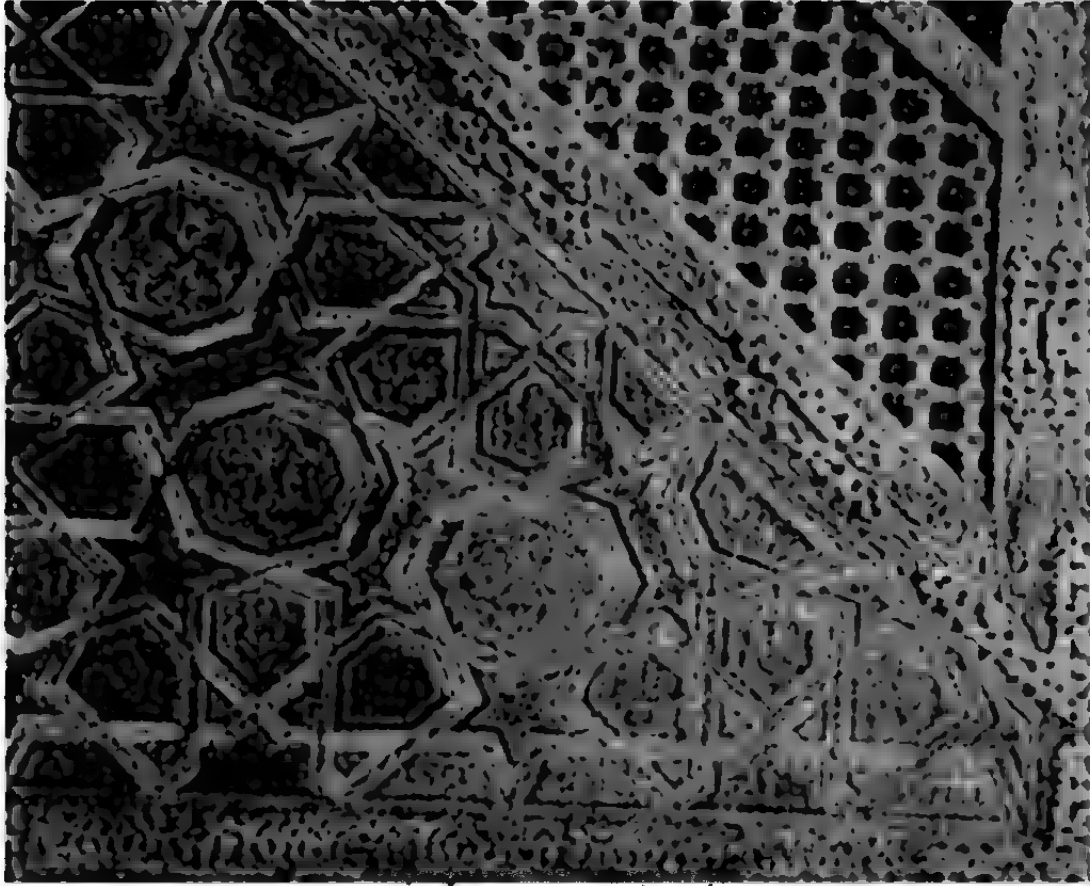
لما انشئ الجامع عمل فيه منبر استمر حتى نقله الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين ونصبه في الجامع الظاهري بمنشأة المهراني المنشأة سنة ٦٧١ هـ ( ٢ ) وعمل بدلا عنه هذا المنبر سنة ٦٩٦ وجعل حشوه من خشب ساج هندي وابنوس ولعظم من خشب نقي وخرط الدار بزين من خشب بقس وكتب على وجهته سطرين نصهما « امر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة » تعتبر صناعة هذا المنبر من ادق واتقن ما عمل على الاخشاب في القرون الاولى الهجرية وقد سرقت اجزاؤه الهامة منذ ثلاثين سنة وبيعت في اوربا وكثير منها مودع في دار الآثار بلوندره. فصار هيكل عظميا لا قيمة له حتى شرعت لجنة حفظ الآثار العربية في اصلاحه فاشترت بض ماء ثرت عليه من مسروقاته واهداها بعضهم طائفة منها فرمته في سنة ١٣٣٣ الهجرية وما اعاد له بهجته الاولى — وهاك صورة قطعة منه في اللوحة الرابعة

هذا واقدام منبر من الخشب المعشق المنقوش الموجود للآن

( ١ ) تكلمت عن اصل المنابر في الاسلام في محاضرة

جامع عمرو ( ٢ ) ابن دقاق ص ١٢٠ > ٤

### اللوحة الرابعة



جامع احمد بن طولون

جزء من الجانب الايسر للمئبر ( رسم انوآلف )

بمصر هو منبر الجامع العمري بقوص . انشاء الملك الصالح طلائع  
وزير الخليفة الفائز عيسى الفاطمي سنة ٥٥٠ من الهجرة .

ثم منبر لاجين الذي نحن بصدده فنبر الامير بكتمر الجوكندار  
(سنة ٦٩٩) بجامع الصالح طلائع خارج باب زويلة . ثم منبر جامع  
المراداني (سنة ٧٤٠)

وكانت المنابر في العصر الاول تعمل سدا بدون نافذتين في  
الجانبيين كما يشاهد في المنابر السالفة الذكر . ثم عمل فيها بعد ذلك  
البابان المسميان ببابي الروضة وصارا كائهما من لوازم المنابر الآن  
واقدم منبر رخام هو منبر جامع الخطيرى ببولاق (سنة ٧٣٧)  
وقد عثرت لجنة حفظ الآثار على الاجزاء الباقية منه بعد تخرب الجامع  
فاودعتها في دار الآثار العربية

حادثة الخطيب . لما رقى الخطيب ابو يعقوب الباغى المنبر

فخطب دعا للمعتد ولولده ونسى ان يدعو لابن طولون ونزل عن  
المنبر . فاشار الامير الى غلامه نسيم بضرب الخطيب خمسمائة سوط .  
فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقى المنبر فعاد وقال « الحمد لله وصلى  
الله على سيدنا محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل قنسى ولم نجد له عزما  
اللهم واصلى على امير المؤمنين » فأنظر الامير الى  
هزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل . فنظر الامير الى



والسلام باستبدال الاسواط بدنانير . ووقف الخطيب على ما كان  
حنه فحمد الله تعالى على سلامته وهناه الناس (١)

### ٥ — المناور الجص

وعمل به من المناور الجص ١٣٠ منورا . في كل من الجنبين  
الغربي والشرقي ٣٣ والبحري والقبلي ٣٢ وحول كل منور اطار  
منقوش كتابة كوفية بها آيات قرآنية

وقد ركبت هذه المناور متداخلة عن وجه الحائط لاظهار هيئة  
العمد وطى العقد المزخرف

وقد كانت تفرغ بمحارها أولا فكان يعمل لوح من الجص  
طبقات فوق بعضها كطبقات الياض باشخانة المطلوبة ثم يرسم عليه  
المشيك ويفرغ مايلزم تفريغه من وجهه على زاوية مستقيمة  
ولما ترقق الصنعة صارت تصب عجينة الجص لوحا بالثخانة  
المطلوبة وبعد التفريغ يركب اللوح في محله . وهذه هي الطريقة  
المتبعة الآن

وقد اتخذت مناور ابن طولون مثالا ونسج على منوالها في

الجوامع التي أنشئت في زمن الفاطميين ومن بعدهم إلى أواخر عصر الدولة البحرية واستعملت لسد النوافذ العليا في الجوامع المكشوفة الصحن كما يشاهد ذلك في آثار هذه الدول

ثم استعوض عنها بشبايك السلك المتخذ من النحاس ثم بالخشب المصنوع خرطا صهر بجيا . وأخيرا « بالشيشة » وهي قطع رفيعة من خشب توضع مشبكة وهي باقية في بعض المساجد والمنازل للآن

على أن بعضهم كان يستبدل الجص بشبايك من خشب مفرغ ومنقوش على شكل زخرفة جميلة لأن الخشب يمتكث زمنا أكثر من الجص . والبعض استبدلها بحجر منقوش مفرغ وقليل ما هم

أما العمارات المسقوفة فاتخذت فيها هذه المآثور من الخارج لحفظ الشبايك الاصلية المتخذة من جص وزجاج ملون وتعرف بالقمرية او الشمسية وهذه على نوعين كلاهما من آثار عصر مخصوص وسنتكلم عليهما عند التكلم على قبة الصالح نعم الدين المنشأة سنة ٦٤٧ بالنحاسين

لم يبق من المآثور التي عملت في زمن ابن طولون الا بعض من الاطر التي كانت منقوشة بالخط الكوفي حول المآثور لانه من الاطلاع عليها يظهر

اولا — ان قسما من الاطر قديم على اصله لم يتغير وهذا كتابته

على نسق كتابة الايزار الخشب والكتابات التي وجدت على الالواح الرخام التي كانت شواهد للقبور حوالى زمن الطولونيين

ثانياً — والتقسم الآخر بعضه تجدد فى زمن الفاطميين وعمل

زخرفة بدلا عن الكتابة . والبعض الآخر عمل فى زمن حسام الدين لاجين وهو اما ان يكون كتابة كوفية من كلمات مكررة او آيات قرآنية بخط تقليد للكوفى القديم . او يكون زخرفة بشكل ( كرنواز ) مثلا او ما يشبهه

ثالثا — من الاطلاع على الاحام الكائن بين الاطر القديمة

الاصاية والمناور المفرغة وبين الاطر الزخرفة التي عملت فى زمن الفاطميين والمناور الملصوقة بها يتضح ان هذه المناور المفرغة حديثة العهد عملت بدلا عن مناور اخرى كانت بمحايها ودثرت . اما الاطر الحديثة التي عملت فى زمن لاجين فلم يكن بينها وبين المناور لحام ما

رابعا — ومن يرجع ببصره الى المشبكات الهندسية الموجودة

بباطن عقود البوائك ويقارن بينها وبين المشبكات الموجودة بالمناور يظهر له الفرق بلا تردد جليا واضحا ناطقا بان هذه المناور صناعتها متقنة ورسومها ادق من



تلك . ولا يتأتى ذلك الا من تقدم الصناعة ومضى  
اجيال عليها وهي متدرجة من الحسن الى الاحسن  
حسب سنة الترقى

هذا وقد قال حضرة صاحب السعادة هرتس باشا عن هذه  
المناور ما يأتى : لا يرجح عندي ان هذه الشبايك معاصرة لبناء  
الجامع لان زخرفتها ليس فيها شئ من أثر التردد الذى هو الوصف  
الغالب على الزخرفة الاصلية لهذا الاثر . بل ان عليها بصمة الاستاذية  
التي تشاهد في منشآت العصر الزاهر لمحمد الناصر

على انه لاشك عندي في ان الشبايك الحالية هي بدل شبايك  
اخرى كانت عملت في عهد ابن طولون . ويؤيد ما نقول ان بجامع  
الحاكم بامر الله ايضا مناوور ليست في الاتقان مثل هذه المناوور .  
ونلاحظ ايضا ان جامع ابن طولون عمر في القرن الثالث عشر  
الميلادى ( سنة ٦٩٦ هـ ) تعميرا كاد يغير كيانه وعلى ذلك يرجح  
ان تكون هذه المناوور من عهد اصلاحه . ويزيد هذا الترجيح  
ثبوتا كون زخرفة باطن شبايك جامع ابن طولون هي عين زخرفة  
قبة قلاون . اهـ دلائل دار الآثار



## ٦ — اسقف الجامع وايزاره

لم يبق من السقف القديم الذى صنع في عصر ابن طولون شيء سوى الاقريز المصنوع من خشب الجوز اسفل السقف الحالى والمنقوش عليه بالخط الكوفي آيات قرآنية

يزعم كثير من الناس والسواحين ان به القرآن كله . وبعضهم يقول ان الحروف مقطعة ومسمرة على الطراز . وهذا لاصحة له لانها نقش بارز على اللوح ذاته . ولوقيس دائر الاسقف كلها واعتبر مقاس الجزء الذى به سورة الفاتحة لتبين لنا ان المنقوش على جميع الايزار لا يزيد عن ثلاثة اجزاء من القرآن

واما اجزاء السقف القديمة التى ترى الآن فقد جاء عنها فى دليل دار الآثار ص ١٠٨ مانصه : « واقدام جوامعنا الذى هو جامع ابن طولون كان مسقفاً بخشب براطيمه مرئية هى عبارة عن افلاق من النخل مكسوة وجهاتها الثلاث المرئية الواحا من الخشب

وفى هذا السقف ركبت فى الفراغ بين كل برطومين عوارض عمودية عليها فتتج عن ذلك اخاديد قليلة العمق . ولم يتأت للجنة ان تحفظ من السقف القديم الاجزاء صغيرا . اهـ

والذى اراه ان هذه البقايا ليست من عصر ابن طولون بل هى من السقف الذى صنعه حسام الدين لاجين منذ ستائة وتسع وثلاثين

سنة يؤيد ذلك قول ابن اياس في كتابه ص ١٣٦ = ١ « ثم اخذ لاجئين في اسباب عمارة جامع ابن طولون وكان خرابا بغير سقف مدة مائة وسبعين سنة »

وقول المازيزي في خططه ص ٢٦٨ = ٢ « لما كان الغلاء في زمن المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هناك وصار ماحول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اكثره وصار اخيرا ينزل فيه المغاربة باباعرها ومتاعها عند ما تمر بمصر ايام الحج » وهو وان لم يكن واضحا الا انه يستدل منه على تخربه وايسر بعيد ان تكون الاهالي اقامت الاخشاب في ذاك الوقت للانتفاع بها

وقبل ان تنتقل الى معاينة القبة نتكلم على اللوح الرخام المالصق على احدى الدعائم بالرواق الكبير حتى لانعود اليه مرة ثانية فنقول

## ٧ — اللوح الرخام

لما تم الجامع نقش المهندس المصرى مذكرة تاريخية بالخط السكوفي على بضع الواح رخام وضعها على ابواب الجامع العمومية



اللوحة الخامسة



جامع احمد بن طولون

الواح الرخام المقوش عليه تاريخ الالقاء (رسم المؤلف)

تتضمن تاريخ انشائه والباعث للامير عليه .

بقي من هذه اللوح اربع قطعات مختلفة الخط والمقاس عويذت  
ورسنت في كتاب الحملة الفرنسية في عهد بوناپرت ١٢١٣ هـ —  
١٢١٦ هـ فالاول منها ٢٥ سطرا والثاني ٢٦ والثالث ٣١ والرابع ٣٤  
ثم تغلبت عليها الايدي فدثرت ولم يبق منها الا لوح رخام قال عنه  
المرحوم علي باشا مبارك في خطه ص ٤٨ ح ٤ انه كان على باب  
الجامع من الداخل تجاه الميضاة .

وقد عثرت لجنة حفظ الآثار على اجزائه اثناء هدم المباني الرديئة  
التي كانت بالجامع ومشال الاتربة فجمعتها ورتبتها فكان منها النصف  
الايمن الاصلى ومقاسه ٩٦ ر . متر عرضا في ٦٣٥ ر ١ متر علوا ويحتوى  
على ٢٥ سطرا فاصقته على احدى الدعائم بالرواق الكبير — انظر  
الارحة الخامسة — وهالك نص الكتابة المنقوشة عليه . والكتابة  
المفقودة والتي في السطر السادس والعشرين نقاتها من كتاب الحملة  
الفرنساوية . وقد بينت هنا رقم السطور لتسهيل على المراجع قراءته  
١ » بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لا اله الا هو  
الحى ٢ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى  
٣ الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم و  
٤ ما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه

السموات و ٥ الارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم محمد  
رسول الله والذ ٦ ين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم  
ركباً سجداً يبتغون فضلاً ٧ من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم  
من أثر السجود ذلك مثلهم ٨ في التوراة ومثلهم في الانجيل  
ككزراع أخرج شطاء فآزره فاستغلظ ٩ فاستوى على سوقه  
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا ١٠ وعملوا  
الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً كنتم خير أمة أخرجت للناس تأ  
مرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن  
أهل الكتاب ١٢ لكان خيراً لهم أنما يعمر مساجد الله من آمن  
بالله واليوم الآخر وأ ١٣ قام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش الا  
الله فعسى أولئك أن يكونوا ١٤ من المهتدين أمر الامير  
أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤ ١٥ منين ادام الله له  
المز والكرامة والنعمة ٠٠٠ في الآخرة والاول ١٦ لى ببناء هذا  
المسجد المبارك الميمون من خالص ما افاء الله عليه وطيبه ١٧ لجماعة  
المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة وايتاراً لما فيه تسنية الدين  
١٨ والفة المؤمنين ورغبة في عمارة بيت الله واداء فرغه وتلاوة  
كتا ١٩ به ومداومة ذكره اذ يقول الله تقدس وتعالى فى  
بيوت أذن الله أن ترفع و ٢٠ يذكر فيها اسمه يسبح له فيها  
بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ٢١ ذكر الله

وإقام الصلوة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار  
 ٢٢ . ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله  
 يرزق من يشاء بغير حساب ٢٣ في شهر رمضان من سنة خمس  
 وستين ومائتين سجدان ربك رب العزة عما يصفون و ٢٤ سلم  
 على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد  
 وارحمهم محمدًا ٢٥ وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كافضل  
 ما صليت وترحمته وباركت على ابراهيم ٢٦ . . . . . وعلى آل  
 ابراهيم وانعم انك حميد مجيد »

وعثرت اللجينة- أيضا على قطعة أخرى من لوح مقاسها  
 ٤٣ ر . ٠ × ٣٠ ر . متر بها ٤ اسطر هذا نصها « ب لكان خير .  
 الاخروا . عسى اولئك . احمد بن طو . » وهي مودعة بدار  
 الآثار العربية تحت رقم ٧٣

## ٨ — القبة بوسط الصحن

لما انشأ ابن طولون الجامع جعل في وسط صحنه قبة مشبكة من  
 جميع جوانبها وهي مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمودا في  
 جوانبها مفروشة كلها بالرخام . وتحت القبة قصعة ( حوض ) رخام  
 قطرها أربعة أذرع في وسطها نافورة ماء . وفي وسطها قبة



مزوقة يؤذن فيها وفي اخرى على سلمها وفي السطح علامات الزوال والسطح بدرزين ساج (١)

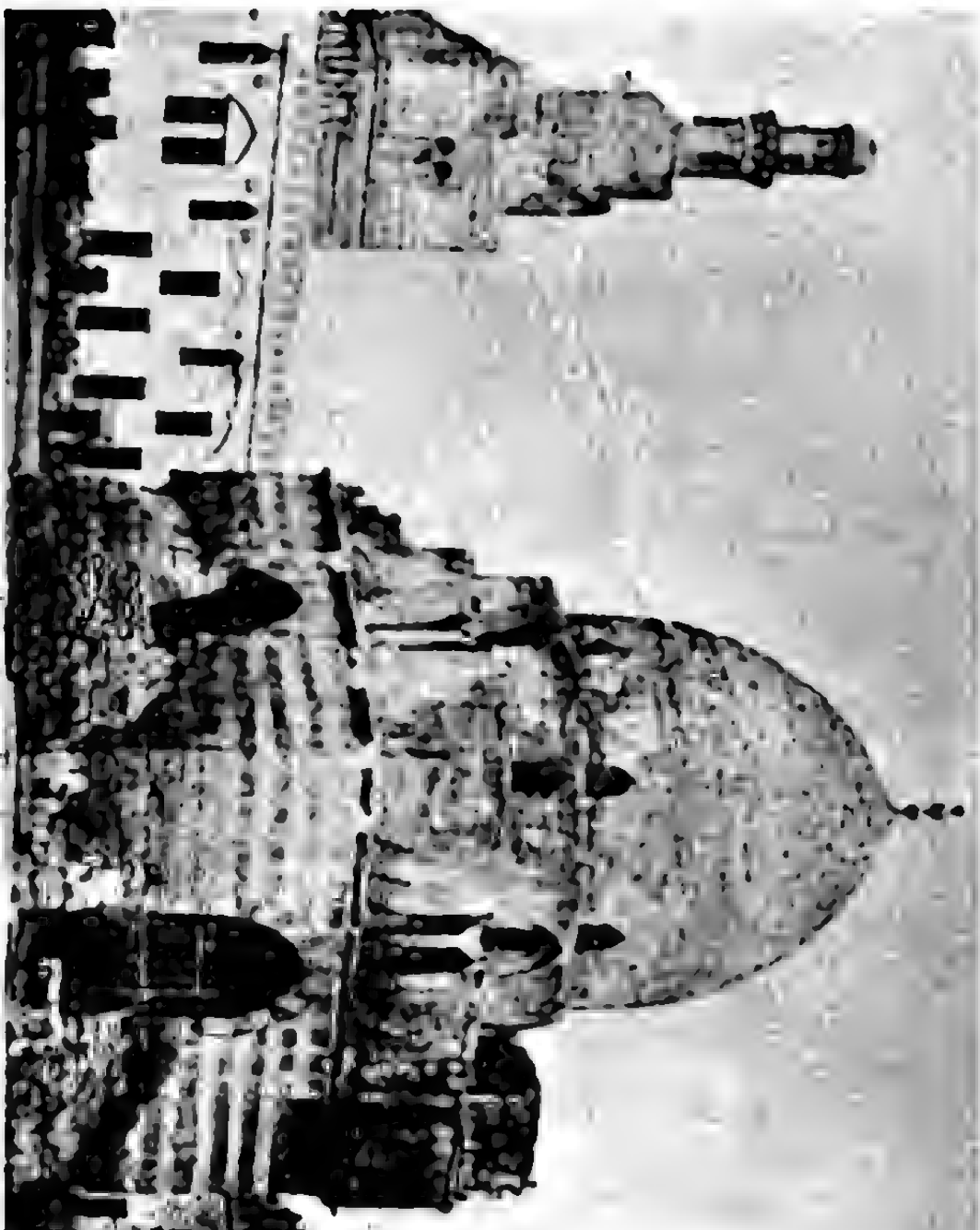
هذه القبة عاينها البشارى وتكلم عنها فى ص ١٩٩ من كتابه « احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » (٢) فقال : — والجامع الفوقانى من بناء بنى طولون اكبر وابهى من السفلانى ( جامع عمرو ) على اساطين واسعة مصهجة وسقوفه عالية فى وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية . مشرف على فم الخابج وغيره . وله زبادات . وخلفه دار حسنة . ( دار الامارة ) ومئذنته من حجر صغيرة درجها من خارج . والحد بين اسفل وفوق مسجد نبي الله ( جامع العسكر ) قد بنى على مساحة الكعبة » اهـ

بقيت هذه القبة حتى احترقت فى جمادى الاولى سنة ٣٧٦ فجددها العزيز بالله ابن المعز العبيدى فى سنة ٣٨٥ هـ وقيل ان امه

(١) مقرئى ص ٢٦٧ ح ٢ وابن دقاق ١٢٣ ح ٤

(٢) هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسى المعروف بالبشارى . فرغ من تأليف كتابه احسن التقاسيم فى سنة ٣٧٥ من الهجرة وهو كتاب نفيس طبع بمدينة ليد بهولنده سنة ١٨٧٦ م . وانى الفت نظر حضرات مدرسى الجغرافيا الى مطالعته وهو موجود بدار الكتب السلطانية تحت رقم ٣٩٢ تاريخ





جامع اهد بن حوران

القبة وبنائة قبل الاصلاح اخذت الذي بنى به المذبة (من عود طالت اللجعة)

تغريدهى الآمرة بالبناء وان راشدا الخفيفى او الخنفى هو المباشر للعمارة (١) استمرت هذه القبة الحديثة حتى سنة ٦٩٦ الهجرية فجددها برمتها السلطان لاجين . وبنى قاعدتها بالحجر ومقاس كل من الضامين البحرى والقبلى ١٢ر٧٥ متر . والشرقى والغربى ١٠ر١٤ متر وهى مكونة من اربع بوائك معقودة عقدا ستينيا . وعمل فى الجنب البحرى منها سلما فى داخل سمك الحائط يصعد منه الى سطح القاعدة . وخلوة لطيفة فى نهاية الجنب المذكور من شرق . وتتش على قطعة خشب بالجنب الشرقى مانصه « امر بتجديد هذا الجامع مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين »

وبنى القبة بالآجر وتتش بها من الداخل طرازا اعلى المقرنصات بالجنس فيه آيات قرآنية عن الطهارة والصلاة . وجعل بوسط ارض القبة فسقية استعمات للوضوء فيما بعد .

ثم حدثت بعد زمن غرفة فى الجناح البحرى الشرقى للسطح بقيت حتى هدمتها لجنة حفظ الآثار وهى مينة فى اللوحة السادسة

(١) قال ابن دثاق « ان القبة احترقت سنة ٢٧٩ وتجددت

فى سنة ٣٨٥ » وقد وهم فى ذلك لان الدولة الطولونية انتهت فى سنة ٢٩٢ ولا يعقل ان تحترق الفوارة والقبة فى زمنهم ولم يجددوها . ثم ان البشارى رآها قبل الحريق

ولما كانت القبعة في وسط الصحن شبيهة بالكعبة في وسط الحرم المكي جاء عنها في كتب السواح « ان بناء الجامع - خصوصا القبعة - تقايد لبناء الكعبة (١) وعن القطعة الخشب السالفة الذكر انها من سفينة نوح عليه السلام » قيل ذلك تعظيما لثن الكعبة المزورة وهو محض اختلاق لاصحة له . لانه لم يكن فوق الكعبة قبة حتى يصح التشبيه بل القبعة التي هناك هي على بئر زمزم انشاها المنصور ابو جعفر سنة ١٤٥ هـ وهي وان تكن في الصحن الا انها بعيدة عن الكعبة . وقد جاء تشبيه ابن البشارى لهذه القبعة بانها « على عمل قبة زمزم فيها سقاية » لان زمزم يشربون الناس منها ولما كانت قبة (١) لم تكن الكعبة في بادىء الامر في وسط الحرم والذي جمعها متوسطة الخليفة ابو عبد الله محمد المهدي العباسي وذلك انه حج سنة ١٦٠ هـ فوجد الكعبة في جانب المسجد فهدم حيطانه واشترى كثيرا من المنازل وزادها في المسجد خصوصا في الجهة الشرقية القبليية واحضر المهندسين وصير الكعبة في الوسط . وهي ليست مربعة اذ ضلعان منها ١٠ر١٠ مترا وضلعان ١٢ر٠٠ مترا وعلوها ١٥ر٠٠ مترا وارتفاع عتبة بابها عن الارض متران وهي في الوسط يميل الى الجنوب و بوسطها من الداخل ثلاث اعمدة من العود القاقل عليها مقاصير ترتكز على حائط الميزاب من جهة وحائط الحجر الاسود من اخرى .

ابن طولون في وسطها فوارة للماء انطبق التشبيه من هذه الوجهة فنظ  
ولو علم الناس ان كل بناء شكله منشور رباعي يقال له كعبة  
وان كعبة البيت الحرام ماسميت كعبة الا لتكسيها اى تريعتها وارتفاع  
بنائها — راجع فقه اللغة ولسان العرب — لاخفضوا من غلوائهم ولم  
يتهموا ابن طولون بما ينسبون اليه من الاضاليل زورا كقولهم انه  
أراد ابطال حج بيت الله الحرام فبنى هذه القبة ليطوف الناس حولها —  
هذا وقد جاء ذكر الكعبة في خطط المقرئ ص ٤٥٣ > ٢  
دليلا على البناء المربع حيث قال : — وكان بقرافة مصر جواسق  
( قصور — مناظر مرتفعة ) — منها ماتحت حوض ماء لشرب  
الدواب وفسقية وبستان . وكان لكل من اكابر الأمراء جوسق  
يتنزه فيه ويعبد الله تعالى هناك . وكان لابي بكر محمد بن علي  
المادرائي وزير آل طولون جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة .  
يجتمعون عنده في الأعياد . . . . . الخ . مقال .

\*\*\*

ولما شرعت لجنة حفظ الآثار في اصلاح الجامع اصاحت ماتهدم  
من هذه القبة قاعدات الابنية الحجرية كأصاها واستاقلت الغرفة  
الحديثة ولم تعد الشرافات الحجر التي كانت بدائر القاعدة والواضحة  
في اللوحة السادسة — وامل ذلك باق الى فرصة أخرى — وييضتها  
من الخارج فاصبحت كما ترى في اللوحة السابعة

هذا ولم تكن القباب تبنى في الزمن السالف الا بالآجر . واول  
قبة رأيتها مبنية بالحجر ( ١ ) هي قبة بمسجد سنجر الجاولى سنة ٧٠٣  
وهي صغيرة الحجم تكاد لا ترى بالنسبة للقبتين الضخمتين المجاورتين  
لها المبنيتين بالآجر . ثم قبة تربة تنكر بغا سنة ٧٦٤ قباب اخرى

## ٩ — منارات الجامع

### ❦ المنارة الكبرى ❦

بهاء هذه المنارة بالحجر الوارد من محجر البساتين ودرجها من  
الخارج ومقاس قاعدتها ١٠ر٩٥ × ١٠ر٦٠ مترا وليس بمصر منارة  
غيرها سلمها من ظاهرها . ويتوصل من سلمها الى سطح الجامع .  
ويصل الانسان الى دورة المؤذن بعد ما يصعد ١٧٢ مرقاة . وعدد  
مراقي الدورة العلوية ١٦ وارتفاع قمة المنارة عن أرض الجامع  
٣٩ر٠٠ مترا

( ١ ) وبهذه المناسبة نصصح ما جاء في دليل دار الآثار ص  
٦٢ وهو ان اول قبة اتخذت من الحجر النحت على تربة السلطان  
برقوق سنة ٨٠٨

ولبناء سلمها من الخارج سبب ذكره المؤرخون  
 فقال ابو المظفر يوسف المعروف بسبب ابن الجوزى المتوفى  
 سنة ٦٥٤ في كتابه مرآة الزمان : — قرأت في تاريخ مصر (١) ان  
 ابن طولون كان لا يعيث قط وانه اخذ درجا من الكاغد وجعل يعيث  
 به وبقي بعضه في يده . فمجب الحاضرون . فقال اصنعوا منارة الجامع  
 على هذا المثال وهي قائمة اليوم على ذلك . اه حسن المحاضرة .  
 وقال ابن دقاق في كتابه الانتصار « والمنارة من اغرب المنائر  
 عمارة لان مراقبيها من ظاهرها يطالع عاينها الى اعلاها بدرج عريضة  
 تسع جملين محلين ( ٢ ) يصعدان اليها . وسبب عمارتها على هذه  
 الصورة ان ابن طولون كان ساكن المجلس لا يعيث بيده ابدا وانه  
 أخذ بيده درج ورق فادخل اصبعه في احد طرفيه فخرج الطرف  
 الآخر . فتمجب أهل المجلس من ذلك ونظر بعضهم الى بعض

(١) تاريخ مصر عنوان لجملة كتب صنفها كثيرون من المؤرخين  
 مثل ابي سعيد عبدالرحمن بن أحمد الشهير بابن يونس الذي توفي  
 سنة ٣٤٧ وابن زولاق الذي توفي سنة ٣٨٧ والمسبحي الذي توفي  
 سنة ٤٢٠ والقفطي الذي توفي سنة ٦٤٦

(٢) وهم ابن دقاق في عرض الدرج فان عرضه أى طوله ١٥٥  
 متر بخلاف عرض الجالين المحلين فانه على أقل تقدير ٦٠٠ متر  
 ويظهر ان ابن دقاق لم يشاهد المنارة



فقطان بسرعة وكان ذكيا . فقال انما فعلت ذلك لانى اردت ان  
أبنى منارة مسجدى الجامع كذلك وامر المهندسين ان يبنيوها على  
ذلك المثال . اه

وذكر المقرئ في خطه هذه الرواية الا انه لم يعين عرض  
الدرج وقال والعامه يقولون ان العشارى (المركب) الذى عليها يدور  
مع الشمس وليس صحيحا وانما يدور مع دوران الرياح . وكان الملك  
الكامل قد اعتنى بوقودها ليلة النصف من شعبان ثم ابطها . وهذا  
العشارى وجده ابن طولون فى الكنز اه

وقد شاهدها محمد بن احمد المقدسى البشارى بعد بنائها باكثر  
من قرن وقال عنها فى كتابه « احسن التقاسيم » ( ١ ) مانصه :  
« ومنارته (جامع ابن طولون) من حجر صغيرة درجها من خارج » اه  
فهل المنارة الحالية هى التى عاينها البشارى ام اقيمت على انقاض الاولى ؟  
لاشك ان هذه المنارة غير تلك والدليل على ذلك ملباتى

(١) — شكل عقود السفلى يدل على انه متاخر عن بناء الجامع  
بزمن مديد لان هذا الشكل لم يوجد فى الابنية الاثرية  
بمصر الا فى محل واحد عمل فى القرن السابع الهجرى .

( ١ ) عند الكلام عن هذا الكتاب فى صفحة ٣٢ فأتى ان

شكر حضرة الاستاذ الشيخ محمد الخضرى بك مدرس التاريخ الاسلامى  
بجامعة المصرية فانه هو الذى ارشدنى الى هذا الكتاب النفيس

زمن الايوبيين واعنى به رباط ازدمر الشهير الآن بترية  
مصطفى باشا حاكم اليمن بشارع القادرية ومسجل تحت  
رقم ٢٧٩ اثر .

( ٢ ) — بناء قاعدة المنارة من الجهة الغربية الملاصقة لحائط  
الزيادة غشيم اى غير نظيف ولو كانت المنارة من زمن ابن  
طولون لجعل البناء منحوتا نظيفا خصوصا اذا علمنا ان  
حائط الزيادة عملت بعد بناء المنارة كما سيرد ذلك

( ٣ ) — المقرنصات الحلية التى بالجزء الاعلى لم توجد بمصر  
الا فى القرن السابع . وهذا الجزء عمل والقاعدة فى وقت  
واحد بدليل معدن الحجر فانه واحد فى الاثنين

( ٤ ) — وقال هرتس باشا فى دليل دار الآثار ص ١٨  
« توجد أدلة كثيرة تنفى ما قيل من ان المنارة الكبرى  
بنيت مع الجامع لان بناء وشكل عقود السفلى ينفيانه » اه  
وقال السيوطى وابن اياس فى كتابيهما « واختفى لاجين فى  
مئذنة جامع ابن طولون مدة طويلة »  
وقال ابن اياس فى موضع آخر « واختفى لاجين فى خزانة ابن  
طولون سنة »

فاذا سلمنا بالقولين تكون الخزانة والمئذنة بجوار بعضهما لان  
الاختفاء لا يكون الا فى غرفة او وراء حجاب

ومناרתنا هذه مكشوفة للرياح والشمس فلم يكن بها ما يستكن فيه وسلمها ظاهر لا عيان فلا يحجب احدا ويستنتج مما تقدم ان المنارة الحالية حديثة الانشاء اقيمت على انقاض الاولى ويترجح عندى انها من بناء حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦ صنعها على مثال المنارة القديمة التى بنيت بالحجر على شكل منارة جامع سامرا (١) وشكل هاتين المنارتين مثال اشكال المراسد الكلدانية وبرج بابل

وفى سنة ١١٠٥ هـ بت ريج شديدة فاسقطت المركب التى كانت على هذه المنارة (٢)

ثم طرأ على هذه المنارة ما طرأ على الجامع من التخريب والهدم

(١) ابن دقاق والمقرئى . وسامرا بلدة عظيمة بالعراق كانت مقر الخلفاء اختطها المعتصم الذى تولى سنة ٢١٨ و زاد فيها المتوكل الذى تولى سنة ٢٣٢ وكانت عجيبة حسنة حتى سميت سرور من رأى ثم اختصر الاسم ف قيل سر مرى . ولما خربت سميت ساء من رأى ثم اختصرت ف قيل سامرا . وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد أبست حيطانه بالمينا وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة اه احسن التقاسيم . وهى تبعد عن بغداد بنحو ٣٠ ميلا

(٢) جبرئى ص ٢٥

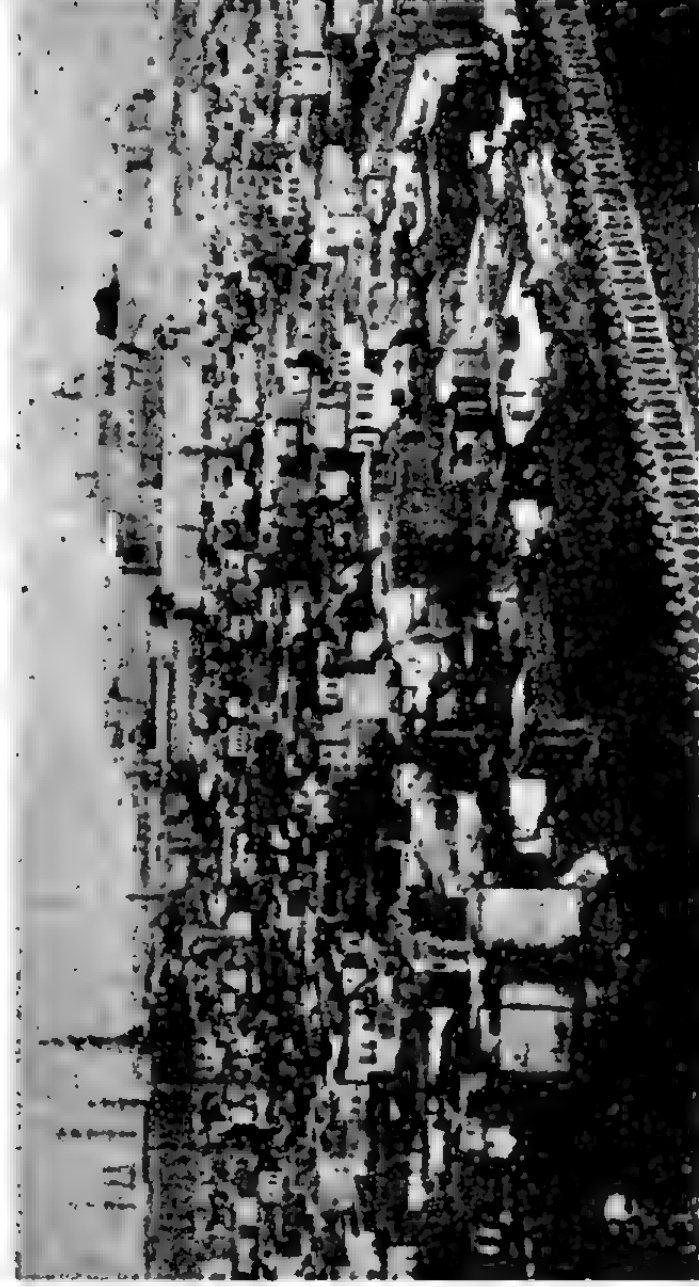
الروحة السابعة



جامع احمد بن طولون  
القبة والمنارة بعد الاصلاح (رسم المؤلف)



## اللوحة الثامنة



منظر جزء من الجهة الشرقية للقبيلة للقاهرة مأخوذ من فوق منارة جامع احمد بن طولون

(رسم المؤلف)



وتأكل احجار السلم فجاءت لجنة الآثار العربية فرمت السلام جميعها والذروة المحيطة بها وجزأ من الخوذة حتى صارت فى مأمن من عوادي الدهر — انظر اللوحة السابعة — يصعد عليها المتفرج فيرى من اعلاها منظر مصر البهيج يرى اهرامات الجيزة ودهشور والنيل واولئ الدلتا والمقطم والقلعة وابنية المنازل والمعابد والحدائق الى غير ذلك . وقد تصادف صمودى على هذه المنارة فى وقت كانت جارية فيه عمارة منارتى جامع الرفاعى فصورتهما مع جامع السلطان حسن والقلعة وغيرهما كما ترى فى اللوحة الثامنة .

وقد كانت المنارات بمصر تبنى اولاً بالآجر يستثنى من ذلك منارات جامع ابن طولون والحاكم فانهما بالحجر . ثم صارت تبنى القواعد بالحجر فقط والجزء العلوى بالآجر . ولما كثر استعمال الحجر النحت بنيت به المنارات باكملها .

اول منارة بالحجر منارة المدرسة المنصورية التى انشاها قلاون بالبحاسين سنة ٦٨٤ ثم منارة جامع الامير حسين الذى انشئ سنة ٧١٩ فمنارة المدرسة الاقبغاوية ( ١ ) بالازهر ومنارة جامع الماردانى سنة ٧٤٠ بناهما مع المدرسة والجامع المعلم ابن السيوفى رئيس

( ١ ) قال المقرئى ص ٣٨٤ > ٢ ان منارة الاقبغاوية

هى اول مثذنة عملت بالحجر المنحوت بديار مصر بعد المنصورية اهـ



المهندسين في الايام الناصرية .

### ﴿ المنارة الآجرية ﴾

هذه المنارة بالزاوية البحرية الشرقية اعلى حائطى الجامع والوصول اليها من سطحه . بناها في عصر الناصر محمد بن قلاون القاضى كريم الدين الكبير وكان قد انشأ منارة اخرى فى الزاوية الشرقية القبالة المقابلة لها سقطت فى القرن الثالث عشر الهجرى . وهذه المنارة بها ميل ربما كان سبباً فى سقوطها يوماً ما

### ١٠ — الزيادة واسباب وجودها

وقيل لما انتهى الجامع وفتح للصلاة لم يحضر أحد من المصلين لاعتقادهم انه بنى من مال لا يعرفون اصله وكان الناس فى ذلك الوقت محتبرين على دينهم . فعز ذلك على ابن طولون وجمعهم فى يوم جمعة وخطب فيهم واقسم بالله العظيم الذى لا اله الا هو انه ما بنى هذا الجامع ويده تشير اليه بشئ من ماله وانه بناه بكنز ظفر به فى الجبل الثالث وان العشارى الذى نصبه على مثنته وجدته فى

الكنز وكل الخطبة . فلما سمع الناس ذلك اجتمع خلق كثير وصلوا الجمعة فيه .

ولما سمع الناس منه حكاية المحراب السالف ذكرها وكيف بنى واشاءوا ذلك عظم شأن الجامع وضاق على المصلين فقالوا لابن طولون نريد ان تزيد لنا فيه زيادة فزاد فيه هذه الزيادة بظاهره (١) ولا عبرة بما يقال من ان هذه الزيادة اقتطعها ابن طولون من الجامع لما وجدته اكبر مقاساً من الحرم المكي فان هذا محض اختلاق اذ متوسط مقاس الحرم من الداخل الآن يبلغ ١٠٨٥٠ × ١٠٠ ر ١٦٥٠ متراً ومقاس جامع ابن طولون من الداخل بعد الزيادة هو ١٤٢٣ × ١٢١٧٠ متراً والفرق بينهما واضح

وقد احترق جزء من الزيادة البحرية في سنة ٤٧٠ من الهجرة فجدده بدر الجمالى . ونقش بالخط الكوفي اربعة اسطر على لوح ر عام مقاسه ٢٧٠ × ٥٠٠ متر تاريخ التجديد وسببه فقال مانصه بعد البسملة وآية انما يعمر مساجد الله

« نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد ابى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنه الاكرمين . امر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدواز النار على ما ابدعه المارقون فيه السيد الاجل أمير الجيوش

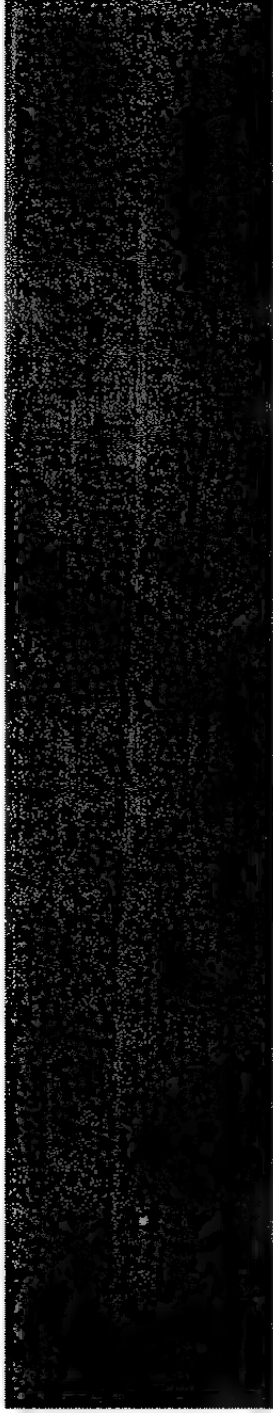
سيف الاسلام ناصر الامام ابو النجم بدر المستنصرى ادام الله قدرته واعلى كلمته ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وذلك فى صفر سنة سبعين واربعمئة والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما » — انظر اللوحة التاسعة —

وهذا اللوح ملصق من الخارج اعلى اول باب من بحرى شرقى وهو باق سليم لم يتوره كسر ولا تقص . ومن العجب ان هذه العمارة بل وهذا الخريق لم يرد لهما ذكر فى كتب التاريخ الشهيرة

ولما تخرب الجامع عملت هذه الزيادة البحرية ورشة (معمل) لادوية . ثم بيعت الزيادة القبلية مع جزء من الزيادة الغربية . وقد شرعت لجنة حفظ الآثار فى استرداد هذه الاجزاء المباعة ونخلة الجامع من الابنية التى حوله وفقها الله لآعام هذا العمل العليل وذال لها المصاعب

وقد جعل ابن طولون بالزيادة الغربية ميسأة بناها بعد انتهاء بناء الجامع بدليل مارواه ابن عبدالظاهر وهو لما فرغ من بناء الجامع اسر للناس يسماع ما يقال فيه من العيوب : فقال رجل محرابه خير . وقال آخر ما فيه عمود . وقال ثالث ليست له ميسأة . فجمع الناس وقال «...» . واما الميسأة فانى نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته

### اللوحة التاسعة



صورة اللوح الرخام النقوش عليه تاريخ سنة ٤٧٠ بجامع احمد بن طولون (رسم المؤلف)



منها وانا ابنيها خلفه ثم امر ببنائها « (١) — اه — واظنها هي التي في الجناح البحرى الغربى من الزبادة وبها ساقية . اما الميضاة التي في الجناح الغربى القبلى فالذى بناها هو الحاج عبيد بن محمد الهوىدى البازدار مقدم الدولة في ايام السلطان برقوق .

قال المقرئى — « وجدد الحاج عبيد ميضاة بجانب الميضاة القديمة في سنة ٧٩٢ من الهجرة » اه

وجعل ابن طولون في هذه الزيادة الغربية خزانة شراب وهي التي ورد ذكرها في صفحة ٧ من هذا الكتاب . وموجود على يسار المنارة مصلى وتربة الشيخ شرف الدين المدينى ومنقوش على قطعة خشب مركبة اعلى باب المقام مانصه بعد الآية القرآنية « انشا هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا الشيخ شرف الدين المدينى اعاد الله علينا من بركاته بتاريخ شهر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة »

وعمل السلطان حسام الدين بجوار الجامع بالزيادة القبلية سبيلا ومكتبا في سنة ٦٩٦ لاقراء ابناء المسلمين القراءت . وهذا المكتب هدم ولم يبق منه الا اجزاء من السبيل الذى كان تحته

## ١١ — الدعامات الحاملة للبوائك

عند ما اراد ابن طولون بناء الجامع قدر له ٣٠٠ عمود رخام  
 فقيل له لا تجزها الا اذا ارسلت الى الكنائس في الارباب والضباع  
 الخراب فتحملها منها . فلم يشأ ذلك واستبدلها بالدعائم الآجر فاوجد  
 بالجامع ١٦٠ دعامة و ١٨ نصف دعامة . فاذا قلنا ان كل دعامة  
 محل عمودين وكل نصف بعمود كان الناتج ٣٣٨ وهو عدد الاعمدة  
 التي كانت توضع بالجامع وهو قريب من التقدير . اما الآن فكل  
 دعامة بها في نواصيها اربع اعمدة بالآجر من نفس بناء الدعامة .  
 فعدد هذه العمدة الآجرية ٦٧٤ عمودا . ومقاس قاعدتها كل  
 دعامة ٢٥٠ × ١٣٠ مترا

وكان قد عمل بالرواق الكبير الشرقي خمس صفوف بوائك  
 سقط صف منها وهو الذي بجانب الصحن في سنة ١٢٩٢ الهجرية  
 وعمل بكل من الاروقة الثلاثة المحيطة بالصحن صفي بوائك وهي  
 باقية للآن عدا جزء من الجناح الغربي فانه سقط ولم يعد الى أصله



## ١٢ — ابواب الجامع

وقد عمل له ١٩ بابا ستة في كل من الجنين البحرى والقبلى .  
 وخمسة في الغربى واثنان في الشرقى . ولما بنى الزيادة حول الجامع  
 من وجهاته الثلاث عمل تجاه كل باب من هذه الابواب بابا . ثم  
 جعل بايين فى منتصف نهاية الزيادتين البحرية والقبلىة من شرق —  
 ويغاب على الظن انه جعل امامهما بايين اخرين لان النظام الهندسى  
 يقضى عليه بذلك . فتكون عدة ابوابه جميعا ٤٠ بابا .



## ١٣ — السبب فى بناء الجامع بالآجر

قال القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ — « وقيل ان أحمد بن طولون قال  
 اريد ان ابني بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى . فقبل له  
 يبنى بالجير والرماد (القصر مل) والآجر الاحمر القوى النار (المستوى)  
 الى السقف ولا يجعل فيه اساطين رخام فانه لا صبر لها على النار . فبناه  
 هذا البناء وجعله على شكل جامع سامرا وكذلك المنارة . (١) اهـ



— ولعل السبب في طلب الأمير ذلك هو ما روى عن قاسم ابن اصبع عن احمد بن زهير عن هرون بن معروف عن ضمرة الشيباني قال تهلك مصر غرقا او حرقا . ( ١ )

وكما ان هلاكا سببه زيادة النيل فكذلك تقصانه لما روى الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن سالم بن ابي سالم عن عبدالله بن عمرو قال : اني لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر . قال فقالت له ما يخرجنا منها يا ابا محمد ؟ اعدو ؟ قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه النكشان من الرمل وتاكل سباع الارض حيتاته . ( ٢ )

#### ١٤ — ما فعله الأمير مع المال اثناء الهامة

رأى الأمير الصناع يبنون في الجامع قبل الغروب في شهر رمضان . فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم واولادهم ؟ اصرفوهم العصر . فصارت سنة الى اليوم بمصر ( القرن التاسع الهجري ) .

ولما مضى الشهر قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون الى

( ٢١ ) مقرئى ص ١٣٦ و ١٣٧ > ٢ طبعة الملبى

رسمهم . فقال قد بلغت دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر  
العمل علينا . ( ١ )

### ١٥ - ما فعله الأمير عند افتتاح الجامع

لما انتهى الجامع من العمارة نقل اليه القراء والفقهاء وصلى فيه  
القاضي بكار بن قتيبة . ودرس فيه الربيع بن سليمان حديث « من  
بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » وبعد  
صلاة الجمعة الأولى جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام  
لمستملى وفتح بابها وجلس الأمير لسماع الدرس والعلمان وسائر  
الحجاب قيام حتى انتهى المجلس . ثم ارسل الأمير غلاماً ومعه ألف  
دينار الى ابن الربيع وقال له : يقول لك الأمير نفعلك الله بما علمك  
وهذه لابي طاهر يعني ابنه . وقد تصدق أيضاً بصدقات عظيمة  
وعمل طاماً للفقراء والمساكين .

وقد تقرب الناس بالصلاة فيه والزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة  
في فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع ليكتبوا العلم

ومع كل واحد وراق. وعدة غلمان .  
 ثم نزل الأمير في الدار التي عملها فيه للامارة ( خلف القبلة )  
 وقد فرشت وعلقت فيها القناديل وحملت اليها الآلات والأواني  
 وصناديق الاشربة وما شاكلها فجدد وضوءه وغير ثيابه وخرج من  
 بابها الذي بمجدار الجامع بمجوار المنبر ( باق للآن ) الى المقصورة  
 فركع وسجد شكراً لله تعالى على ما اعانه عليه من ذلك ويسره له .  
 فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى اشرف على الفوارة  
 وخرج الى باب الريح فصعد المهندس الى جانب المركب النحاس  
 وطلب الأمان والجائزة كما قدمنا .  
 ولم تزل هذه الدار ينزل بها الأمراء الى أيام المعز لدين الله  
 الفاطمي فكان يجي فيها الخراج ثم خربت فيما خرب من القطائع .  
 فلما بنيت القاهرة جعلت دار الأمانة بها في القصر الكبير الشرقي .



## ١٦ — رؤيا الامير احمد بن طولون

ويقال ان ابن طولون رأى في منامه رؤيتين . الأولى في أول  
 الليل والثانية في آخره فاصبح متألماً منهما . فجمع العلماء والمفسرين

قص عليهم مارآه قال : رأيت نورا سطع حتى ملأ حول هذا الجامع  
 لم يقع على الجامع منه شيء . واقسم انى ما بنيت الا الله خالصا ومن  
 مال الحلال الذى لا شبهة فيه . ورأيت النبی صلی الله علیه وسلم  
 نزلت له . اين اموت واين ادفن ؟ فأشار بيده هكذا وأشار باصابعه  
 الخمسة . فقال رجل من قضاة وكان شيخا كبيرا حاذقا : هذا الجامع  
 يبقى ويخرب كل ماحوله . فقال الأمير وما دايك ؟ قال قوله تعالى .  
 فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فكل ما علاه  
 النور يصير كالجبل دكا . وقال النبی علیه السلام اذا تجلى الله لشيء  
 خضع له . واما اشارة الرسول صلی الله علیه وسلم فانه قال لك هذه  
 خمس لا يعلمهن الا الله . ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم  
 ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس  
 بأى أرض تموت . فاعجب ابن طولون هذا التعبير وأمر له بمائة دينار  
 فأبى اخذها وقال فقر وغنى لا يجتمعان . (١) اهـ

وقد صح تعبير الرؤيا فان جميع ماحول الجامع خرب دهر  
 طويلا وبقي الجامع عامرا ثم عمر ماحوله حتى كانت خلفه مصطبة  
 ذراع فى ذراع اجرتها يوميا ١٢ درهما فى بكرة النهار لتاجر غزل وفى  
 الظهر لحباز والمصر ابائع حمص وفول .

وقيل لما فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأن نارا نزلت

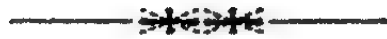
من السماء فأخذت الجامع دون ماحوله . فلما أصبح قص رؤياه  
فقبل له ابشر بقبول الجامع لأن النار كانت في الزمن الماضي اذا  
قبل الله قربانا نزلت نار من السماء فاخذته . ودليله قصة قايل وهابيل



## ١٧ — عمارة الحافظ لدين الله

وفي سنة ٥٢٦ عمل بالجامع عمارة الخليفة الحافظ لدين الله  
عبد المجيد على يد القاضي سراج الدين نجم بن جعفر ونقش تاريخ  
العمارة ١٤ سطرا على لوح خشب كان موجودا بالجامع وعينه  
الفرنساويون ودونوه في كتابهم ولم اعلم ماتم في امره بعدهم . وهاك  
نص الكتابة السليمة التي امكنتي قراءتها من الكتاب المسطور  
بعد البسملة « مما امر بانشائه عبد الله وولايه مولانا وسيدنا عبد المجيد  
ابي \* الميمون الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين صلوات الله  
عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائهم الاكرمين \* على يد عبده ومملوكه  
القاضي المؤيد سراج الدين على .. المح .. ين .. المؤمنين ..  
لامام عمدة الاحكام .. اطال الله جلالة وخلده .. وكماه ..  
لخلافة العلوية الحافظية درا \* لما بر .. والعمال ولى امير المؤمنين

ابو . . . بن جعفر . . . الله . . . وعشرين . . . شوال سنة ست  
 وعشرين وخمسمائة « وهذا القاضى ترجمه ابن حجر فى كتابه رفع  
 الاصر قال : نجم بن جعفر سراج الدين ابو الثريا الاسماعيلى مذهباً  
 ولاء الحافظ العيىدى قاضى القضاة وداعى الدعاة فى يوم الخميس  
 ثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ فلم يزل حتى  
 قبض عليه وقتل فى ٨ شوال سنة ٥٢٨ . اهـ  
 ومن الغريب لم يذكر المؤرخون هذه العمارة . ويظهر انه اعقبها  
 الخراب لانه لو اضيف اليها مدة الخراب التى ذكرها ابن اياس  
 وقدرها ١٧٠ سنة كان الناتج سنة ٦٩٦ هى تاريخ تجديده على يد  
 لاجين .



## ١٨ — اول جمل الجامع مأوى للفرباء ( تكية )

لما حصل الغلاء المستنصرى وتخربت القطائع والعسكر تخرب  
 الجامع وما حوله وتوالت الايام عليه حتى صار مأوى للمغاربة الحجاج  
 تنزل فيه بأباعرها ومتاعها عند ماتم بمصر أيام الحج .  
 قال ابن جبير فى رحلته : — وبين مصر والقاهرة المسجد

الكبير المنسوب الى ابي العباس احمد بن طولون وهو من الجوامع العتيقة الانيقة الصنعة الواسعة البنيان جعله السلطان ( صلاح الدين يوسف بن ايوب ) مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه واجرى عليهم الارزاق في كل شهر . ومن اعجب ما حدثنا به احد المتخصصين منهم ان السلطان جعل احكامهم اليهم ولم يجعل يد لاحد عليهم فقدموا من انفسهم حاكما يمثلون امره ويتعدا كونه في طواىء امورهم عنده واستصحبوا الدعة والعافية وتفرغوا لعبادة ربهم ووجدوا من فضل السلطان افضل معين على الخير الذي هم بسيله . اهـ



## ١٩ — تجديد الجامع في عصر لاجين وما بعده

قلنا فيما سبق ان الجامع تخرب وصار مأوى للغرباء المغاربة ينزهن فيه بأباعرهم وقت الحج واستمر خرابا حتى اراد الله جل جلاله عمارته فوفق له الامير حسام الدين لاجين المنصورى — وذلك انه اختفى فيه من فتنة اتهم فيها بقتله الملك الاشرف خليل بن قلاون سنة ٦٩٣ وصار يتردد فيه بمفرده وهو حينئذ خراب

لاساكن فيه . واعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه  
 فى الارض جدد عمارة هذا الجامع فقدر الله ذلك وتسلطن فى  
 المحرم من سنة ٦٩٦ فعين الامير سنجر البرنلى ابا موسى الدوادار  
 التركى الصالحى النجمى شادا لعمارة الجامع وفوض اليه امره وأكد  
 عليه ان لا يسخر فيه قاعلا ولا صانعا وان لا يستحث الصنائع ولا  
 يشتري شيأ للعمارة الا بالقيمة التامة وان يكون ماينفق على ذلك من  
 ماله . فعمر الجامع وازال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه  
 وسقفه وجدد المحراب والمنبر والقبلة وانشأ سبيلا ومكتبا - الى غير  
 ذلك - ولما تم تعميره رتب فيه دروسا للفقهاء على المذاهب الاربعة  
 والتفسير والحديث والطب . وقرر مرتبا للخطيب والامام والمؤذنين  
 والفراشين والقومة وغير ذلك من انواع القربات . وبلغت النفقة على  
 الجامع والاعيان التى اوقفت عليه عشرين الف دينار . (١)

وقال ابن دقاق انه قرر به وقفا يختص بالديكة تكون بسطح  
 الجامع فى مكان مخصوص لتعين المؤذنين على الاوقات وضمن ذلك  
 كتاب الوقف (٢) . اهـ ولكن ابا المحاسن نفى هذا الوقف فقال فى  
 المنهل فى ترجمة سنجر المذكور انه لما قرئ كتاب الوقف على  
 السلطان اعجبه الا بالديكة فانه امر بابطالها لئلا يضحك الناس عليهم اهـ .

(١) مقرئى ص ٢٦٨ - ٢

(٢) ابن دقاق ص ١٢٤ - ٤



ويظهر انه استبدل ذلك بساعات شمسية (مزاوول) فقد عثر  
الفرنساويون على بقايا مزولة كانت بالجامع منقوش على احد اضلاعها  
مانصه : « . . . بعمل هذه الساعات بالجامع . . . معروف باحمد بن  
طاولون تغمده الله برحمته في سنة ٦٩٦ » — راجع الخطط  
الفرنساوية —

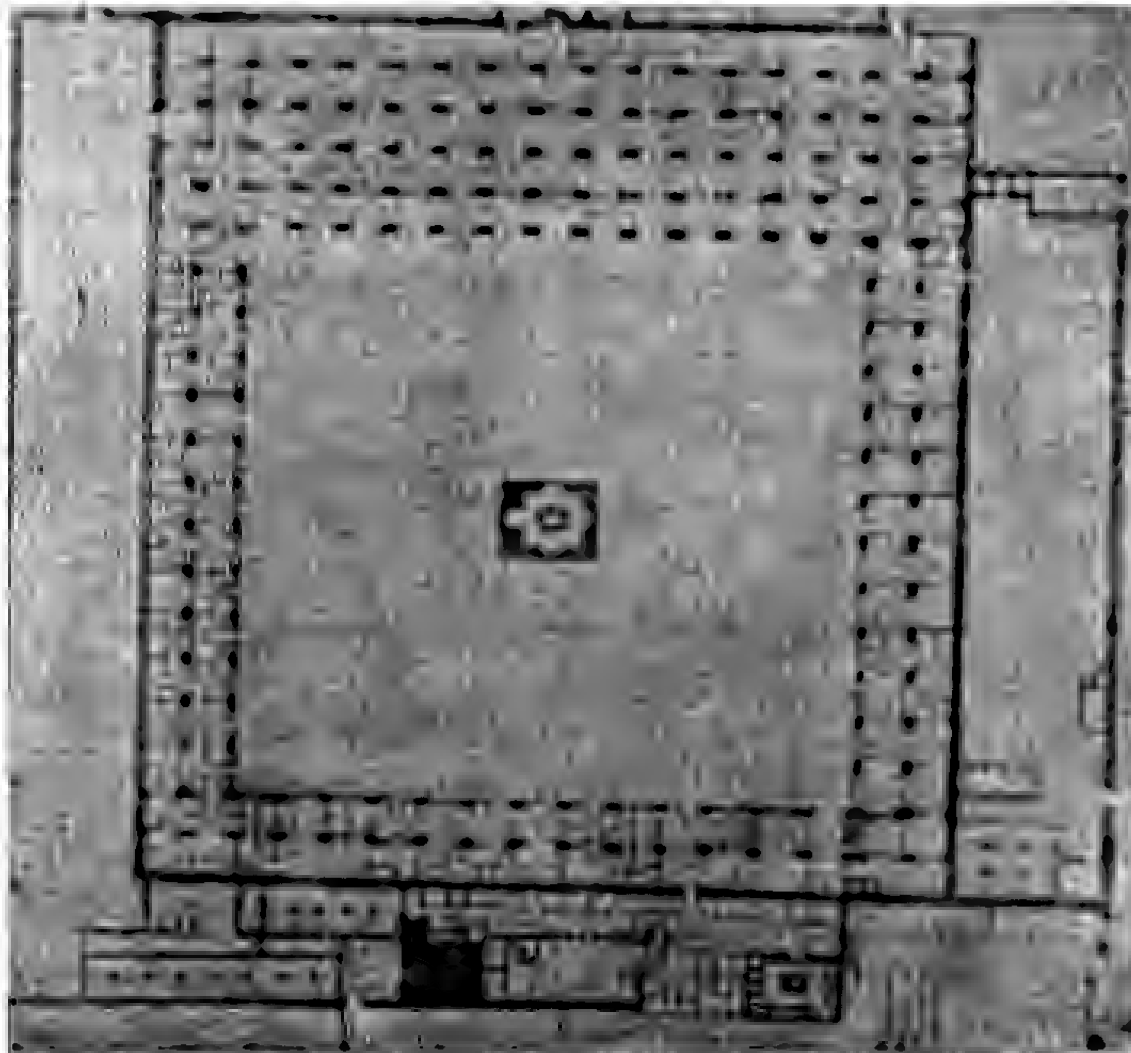
ولما تكلم السيوطي على هذا الوقف في كتابه حسن المحاضرة  
لم يقره . وقال انه كان بالناصرة في سنة ٧٢١ حريق كبير متتابع ودام  
اياما في اماكن واحرق هذا الجامع وما حواه  
وفي سنة ٧٦٧ جدد الامير يلبغا العمري الخاصكى درسا فيه  
سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر ٤٠  
درهما وارذب قمح فانتقل جماعة من الشافعية الى المذهب الحنفي .  
وفي سنة ٧٩٢ جدد الرواق البحري ( الايوان الغربي ) الملاصق .  
للمئذنة الحاج عبيد بن محمد الهويدي البازدار .

وقد تداولت عليه الايام تارة بالاصلاح والتمير وطورا بالخراب .  
حتى عمل فيه معمل (ورشة) لعمل الاحرمة الصوف في اواخر القرن  
الثاني عشر الهجري . ثم اتخذ تسكية للفقراء فاورثوه خرابا وتقديرا  
وتتنا وجعلوا فيه عششا واوكارا كما يرى في اللوحة العاشرة التي  
رسمت سنة ١٣٠٥ من الهجرة

وصار المستعمل للصلاة من هذا الجامع جزء صغير بالرواق الكبير



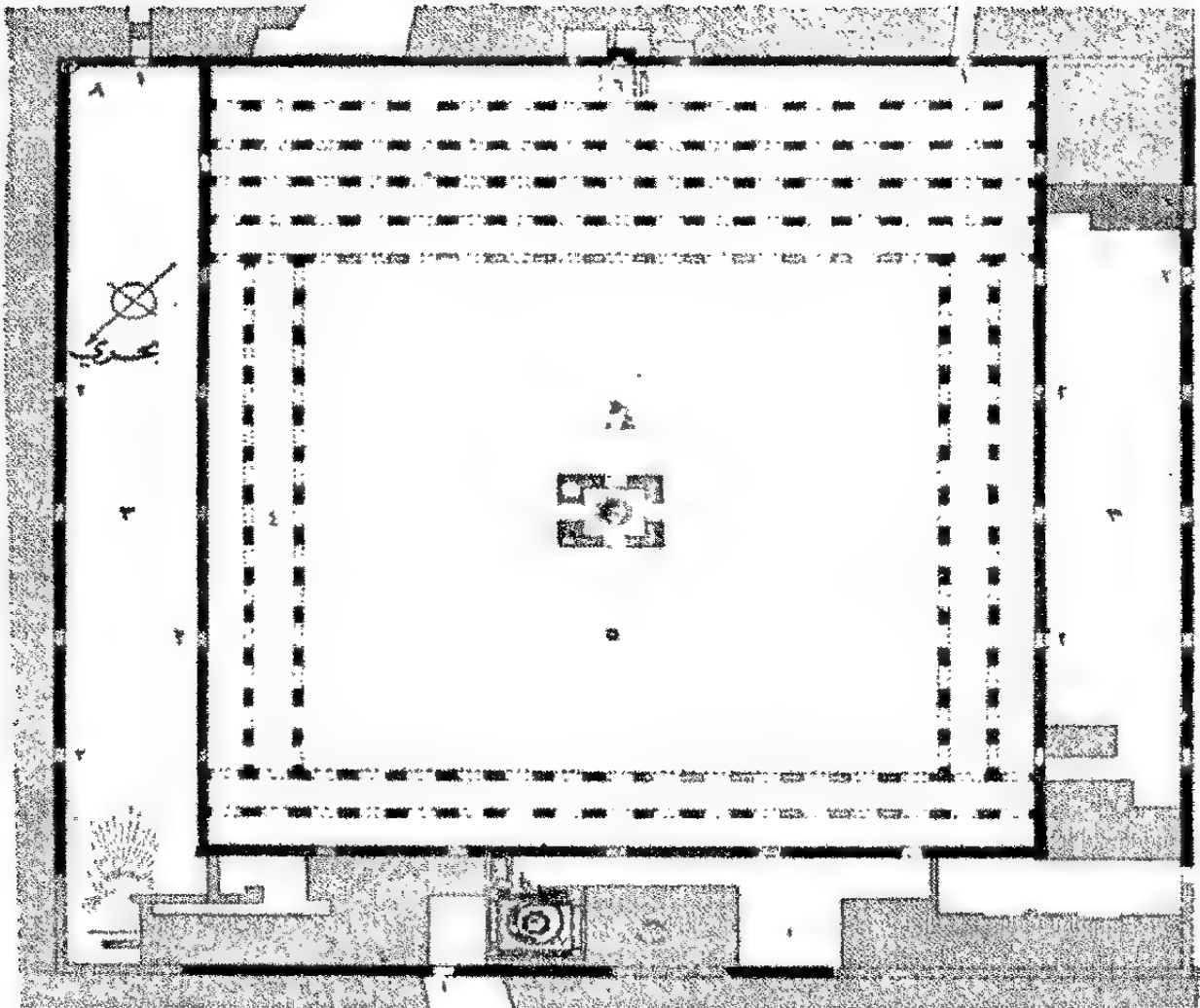
### اللوحة العاشرة



مسقط اثنى عن جامع احمد بن طولون قبل الاصلاح  
( من محفوظات اللجنة )

# اللوحة الحادية عشرة

١٠٥ انظر النقرس تمرة ٧٨ ●



رسم جامع طولون بقاعة الكباش بالقاهرة

- مخدوك
- |   |                  |   |                       |
|---|------------------|---|-----------------------|
| ١ | الواب قديمه مدور | ١ | سا من ملة اشا الهانغ  |
| ٢ | سكن الاورده      | ٢ | سا ابري من زس بعد ذلك |
| ٣ | الوب             | ٣ | سا مشيد               |
| ٤ | سكن              | ٤ | اكاف مرموره           |
| ٥ | قبة وممر         | ٥ | انار النور            |
| ٦ | المسار الكبير    | ٦ | مداخل                 |
| ٧ | المسار الصغير    |   |                       |

جامع احمد بن طولون

مسقط افق عن الجامع بعد الاصلاح (من مجموعات اللجنة)



تبلغ مساحته ٥٠ ر ٧٧ × ٢٦ ر ٠٠ مترا ثم سقط جبل البوائك الشرقية للصحن في سنة ١٢٩٢ كما سبق ذكره . واستمر خراباً حتى جاءت لجنة حفظ الآثار فاصلحته كما يأتي .

وقد جاء في الخطط التوفيقية ص ٤٨ ح ٤ ان طول الجامع من احدى جهاته ٨٠ ر ٠٠ مترا ومن جهة اخرى ٧٦ ر ٠٠ مترا فمساحته ٦٠٧٠ مترا ( ٦٠٨٠ ) وهو اقل من نصف مساحة جامع عمرو . اهـ والحقيقة ان مقاس الجامع والزيادة هو ٢٥ ر ١٦٢ فمساحته ٢٦٣٢٥ ر ٠٦ مترا مربعا وهو اكثر من جامع عمرو بقدر ١١٩٢٥ ر ٠٠ مترا

## ٢٠ — اعمال لجنة حفظ الآثار بالجامع

وقد هيا الله لاصلاحه لجنة الآثار فهدمت كل العشش ورممت بعض المباني المتداعية من الحيطان والدعائم والمنبر والقبة والمئذنة للحكبرى وبيضت ما يلزم تبيضه وجددت السقف وبعض المناور الجص والقبة الصغرى وباطت بعض اجزاء مهمة به الى غير ذلك من الاعمال الشاهدة لها بالفضل الناطقة لها بالشكر على الدوام فاصبح الجامع نقيفا من جميع الادران التي كانت به وهو الآن كما ترى في اللوحة الحادية عشرة وبها تمت المحاضرة

## كلمة شكر

لما شرعت في طبع هذه المحاضرة احتجت الى نشر بعض  
صور فوتوغرافية عن حالة الجامع ومسقطه الافقي. قبل اصلاحه  
ولما كانت هذه الصور لا توجد الا في مجموعة الرسوم الفوتوغرافية  
بلجنة حفظ الآثار العربية فاوضت في ذلك جناب مسيو باتريكلو  
المفتش القائم بالاعمال الهندسية باللجنة فاجازني بمزيد الارتياح باخذ  
ما يازمني . وقد خص هذه المحاضرة منها اللوحات الاولى والسادسة  
والعاشرة

واني اشكر جنابه جزيل الشكر واملى ان أكون اديت شيئا  
من الخدمة العمومية بما نشرته وما سأنشره فيما بعد بعون الله تعالى

---

## — هيئة لجنة حفظ الآثار العربية —

تشكلت لجنة حفظ الآثار العربية بامر عال في ٢٦ من المحرم سنة ١٢٩٩ هـ وتنفذ جلساتها برئاسة حضرة صاحب المعالي وزير الاوقاف العمومية . وفي حال غيابه ينوب عنه حضرة صاحب السعادة وكيل الوزارة . واعضاؤها يعينون بموجب ارادة سنية وتنحصر اعمالها فيما يأتي

اولا — اجراء اللازم لجرد وحصر الآثار للعربية القديمة التي يكون فيها فائدة صناعية او تاريخية

ثانيا — ملاحظة صيانة تلك الآثار ورعاية حفظها من التلف واخبار نظارة الاوقاف بالتصليحات والمهمات المقتضى اجراؤها فيها مع ايضاح المهم منها

ثالثا — النظر في الرسومات والتصميمات التي تعمل عن المرمات اللازمة لهذه الآثار والتصديق عليها وملاحظة اجراء تلك المرمات

رابعا — اجراء حفظ رسومات جميع الاشغال التي تنتهي بكتبخانة الاوقاف واعلان النظارة المذكورة عن القطع التي تتخلف عن العمارة ويلزم نقلها للكتبخانة لاجل حفظها بها .



وتتكون اعضاؤها كما يأتى :

رئيس شرف

حضرة صاحب السمو الامير محمد على (١٩١٣)

رئيس

حضرة صاحب المعالي ابراهيم فتحى باشا وزير الاوقاف (١٩١٤)

نائب الرئيس

حضرة صاحب السعادة محمد شفيق باشا وكيل وزارة

الاوقاف (١٩١٣)

الاعضاء بحسب الاقدمية

التعيين

سنة ميلادية

١٨٨٢ حضرة صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا - وكيل

المعارف سابقا

١٨٩٦ » العزة حنا بك باخوم - وكيل دائرة حضرة

صاحب السمو الامير يوسف كمال

١٩٠٠ » السعادة ابراهيم نجيب باشا - ناظر

الاوقاف سابقا

١٩٠٠ حضرة صاحب العزة على بك بهجت - امين دار الآثار  
العريية

١٩٠٦ » » السعادة مرقص سميكه باشا - عضو بالجمعية  
التشريعية

١٩٠٧ » » السعادة محمود باشا فهمى - باشمهندس  
وزارة الاوقاف سابقا

١٩١٠ جناب مستر فرنل - عضو بقومسيون صندوق الدين  
١٩١٠ حضرة صاحب العزة احمد بك عمر - باشمهندس مصلحة  
التنظيم

١٩١٢ » » السعادة عمر سلطان باشا - من اعيان القطر  
١٩١٢ جناب مسيو بيير لاكو - مدير مصلحة الآثار التاريخية  
١٩١٢ جناب المستر مردوخ مكدونالد - وكيل وزارة الاشغال  
١٩١٣ حضرة صاحب السعادة احمد زكى باشا - سكرتير مجلس  
الوزراء

١٩١٣ جناب مستر هزول - مراقب مصلحة التنظيم

١٩١١ » » فرث - من المشتغلين بالآثار

١٩١٥ حضرة صاحب المعالي اسماعيل مري باشا - وزير  
الاشغال والحرية

١٩١٥ حضرة صاحب المعالي عدلى يكن باشا - وزير المعارف  
١٩١٥ حضرة صاحب السمو الامير يوسف كمال  
١٩١٥ جناب مسـيو دارسى - السكرتير العام بمصلحة الآثار  
التاريخية

١٩١٥ جناب مستر رونالد ستورس - السكرتير الشرقى بدار  
الحماية

هذا عدا احد عشر عضوا وسكرتيرا وكلهم اعضاء شرف منهم  
حضرة صاحب السعادة عبد الحليم باشا عاصم ناظر الاوقاف سابقا -  
اما الابقون فمن الاحانب المقيمين خارج القطر



## ❦ فهرست الكتاب ❦

٢ الخطبة	١٥ المحراب المستنصرى
٣ الشروع فى بناء الجامع —	١٧ ترجمة عبد الحاكم بن وهب
اختلاف المؤرخين فى تاريخه	١٩ محراب لاجين
القطائع —	المحراب المملوكى
٤ قاطر ابن طولون	٢٠ اقدم المحاريب بمصر
٥ ابن عبد الحكم الفقيه	٢١ المنبر — واقدم المنابر بمصر
٦ جبل يشكر	٢٢ حادثة الخطيب
٧ جبل الكباش	٢٣ المناور الجص
٨ هندسة البناء	٢٧ اسقف الجامع وايزاره
٩ فسيفساء المحراب	٢٨ اللوح الرخام المنقوش بالقلم
المحاريب	الكوفى
١١ المحراب الاصلى واسباب انحرافه	٣١ القبة بوسط الصحن
خروج عرض واطوال المدينة	٣٤ الكعبة ومقاسها
والقاهرة ومكة	٣٦ اقدم القباب
١٣ كسوة المحراب المذكور	٣٦ الممارات — المنارة الكبرى
١٤ المحرابان الصغيران	٤١ اقدم المنارات الحجرية
	٤٢ المنارة الآجر

فهرست الكتاب

٤٢	الزيادة واسباب وجودها	٥٠	دار الامارة
٤٣	عمارة بدر الجمالي لجزء من	٥٠	رؤيا الامير ابن طولون
	الزيادة	٥٢	عمارة الحافظ لدين الله
٤٤	الميضاة	٥٣	اول من جعل الجامع مأوى
٤٥	تربة شرف الدين المديني		للغرباء
٤٥	السبيل الباقي بالزيادة الغربية	٥٤	تجديد الجامع بمعرفة لاجين
٤٦	الدعائم		ومن بعده
٤٧	الابواب	٥٧	اعمال لجنة حفظ الآثار بالجامع
٤٧	السبب في بناء الجامع بالآجر	٥٨	كلمة شكر
٤٨	ما فعله الامير مع العمال	٥٩	هيئة لجنة حفظ الآثار
٤٩	» » عند افتتاح الجامع	٦٠	اعضاء اللجنة